سُورَةُ النَّبَأِ

لِأَبِي الحَسَنِ مُحَمَّدِ بنِ حَسَنِ بنِ عَبَّاسٍ

حَفِظَهُ اللّٰه

سُورَةُ النَّبَأ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

اسْمُ كُلِّ سُورَةٍ مُتَرْجِمٌ عَنْ مَقْصُودِهَا؛ لِأَنَّ اسْمَ كُلِّ شَيْءٍ يُظْهِرُ الْمُنَاسَبَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُسَمَّاهُ، عُنْوَانُهُ الدَّالُّ إِجْمَالًا عَلَى تَفْصِيلِ مَا فِيهِ[1].

وكَثْرَةُ الْأَلْقَابِ تَدُلُّ عَلَى مَزِيدِ الْفَضِيلَةِ، وَالْعُرْفُ يَشْهَدُ لِمَا ذَكَرْنَاهُ؛ أَلَا تَرَى كَثْرَةَ أَسْمَاءِ الأَسَدِ مُقَارَنَةً بِغَيْرِهِ مِنَ الحَيَوَانَاتِ؟!

وسَتَجِدُ لِهَذِهِ السُّورَةِ كَذَلِكَ مِنَ الأَسْمَاءِ مَا لَيْسَ لِغَيْرِهَا.

وَقَبْلَ أَنْ نَسْرِدَ هَذِهِ الأَسْمَاءَ، هُنَا سُؤَالٌ: هَلْ أَسْمَاءُ السُّوَرِ تَوْقِيفِيَّةٌ -بِمَعْنَى أَنَّنَا لَا نَزِيدُ عَلَى الأَسْمَاءِ الَّتِي وَرَدَتْ بِهَا النُّصُوصُ-؟

نَقُولُ: هَذِهِ مَسْأَلَةٌ خِلَافِيَّةٌ، وَالجُمْهُورُ عَلَى أَنَّهَا تَوْقِيفِيَّةٌ.

قَالَ السِّيُوطِيُّ: وَقَدْ ثَبَتَ جَمِيعُ أَسْمَاءِ السُّوَرِ بِالتَّوْقِيفِ مِنَ الْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ[2].

---

(١) «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (١/ ١٩).

(٢) «الإِتْقَانُ فِي عُلُومِ القُرْآنِ»، (١/ ١٨٦).

۞ **قُلْتُ**: وَيَكْفِي لِتَخْطِئَةِ القَوْلِ بِأَنَّهَا اجْتِهَادِيَّةٌ تَوَقُّفُ النَّاسِ -فِي هَذَا العَصْرِ عَلَى الأَقَلِّ- فِي تَسْمِيَةِ السُّوَرِ، وَلَوْ فُتِحَ هَذَا البَابُ، لَكَانَ لِكُلِّ عَالِمٍ تَسْمِيَاتُهُ الخَاصَّةُ لسُّوَرِ القرآنِ، وَكُلُّ أَسْمَاءِ السُّوَرِ المَنْقُولَةِ عَنِ العُلَمَاءِ فَالظَّنُّ فِيهِمْ أَنَّهُمْ اعْتَمَدُوا فِيهَا عَلَى نَصٍّ، وَأَحْيَانًا يَكُونُ المَنْقُولُ عَنْهُمْ وَصفٌ لِلسُّورَةِ، فَيَظُنُّ بَعْضُ العُلَمَاءِ أَنَّهُ اسْمٌ لَهَا، كَمَا نُقِلَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ فِي سُورَةِ اللَّيْلِ: سُورَةُ السَّمَاحَةِ وَالبُخْلِ.

أَسْمَاءُ السُّورَةِ وَمُنَاسَبَةُ الِاسْمِ لِمَضْمُونِ السُّورَةِ:

١- سُمِّيَتْ هَذِهِ السُّورَةُ فِي أَكْثَرِ الْمَصَاحِفِ وَكُتُبِ التَّفْسِيرِ «سُورَةَ النَّبَأِ»؛ لِوُقُوعِ كَلِمَةِ «النَّبَأ» فِي أَوَّلِهَا.

٢- وَسُمِّيَتْ فِي بَعْضِ الْمَصَاحِفِ وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» وَفِي «تَفْسِيرِ ابْنِ عَطِيَّةَ» وَ«الْكَشَّافِ» «سُورَةَ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ».

٣- وَفِي «تَفْسِيرِ الْقُرْطُبِيِّ» سَمَّاهَا «سُورَةَ عَمَّ» أَيْ: بِدُونِ زِيَادَةِ «يَتَسَاءَلُونَ»؛ تَسْمِيَةً لَهَا بِأَوَّلِ جُمْلَةٍ فِيهَا، وَلِأَنَّهَا تَتَحَدَّثُ عَمَّا دَارَ بَيْنَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ.

٤- وَتُسَمَّى «سُورَةَ التَّسَاؤُلِ»؛ لِوُقُوعِ «يَتَسَاءَلُونَ» فِي أَوَّلِهَا. وَفِي إِطْلَاقِ هَذَا الِاسْمِ عَلَيْهَا نَظَرٌ.

٥- وَتُسَمَّى «سُورَةَ الْمُعْصِرَاتِ»؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِيهَا: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾ [1] وَفِي إِطْلَاقِ هَذَا الِاسْمِ عَلَيْهَا نَظَرٌ.

---

(١) «مَصَاعِدُ النَّظَرِ لِلْإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ» (٣/ ١٥٠)، «الإِتْقَانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ» (١/ ١٩٦)، (التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ، ج ٣٠ ص ٥).

فَائِدَةٌ تَتَعَلَّقُ بِتَسْمِيَةِ السُّوَرِ:

قَالَ الزَّرْكَشِيُّ: لَا شَكَّ أَنَّ الْعَرَبَ تُرَاعِي فِي الْكَثِيرِ مِنَ الْمُسَمَّيَاتِ أَخْذَ أَسْمَائِهَا مِنْ نَادِرٍ أَوْ مُسْتَغْرَبٍ يَكُونُ فِي الشَّيْءِ مِنْ خَلْقٍ أَوْ صِفَةٍ تَخُصُّهُ أَوْ تَكُونُ مَعَهُ أَحْكَمُ أَوْ أَكْثَرُ أَوْ أَسْبَقُ لِإِدْرَاكِ الرَّائِي لِلْمُسَمَّى، وَيُسَمُّونَ الْجُمْلَةَ مِنَ الْكَلَامِ أَوِ الْقَصِيدَةَ الطَّوِيلَةَ بِـمَا هُوَ أَشْهَرُ فِيهَا، وَعَلَى ذَلِكَ جَرَتْ أَسْمَاءُ سُوَرِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ، كَتَسْمِيَةِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ بِهَذَا الِاسْمِ؛ لِقَرِينَةِ ذِكْرِ قِصَّةِ الْبَقَرَةِ الْمذْكُورَةِ فِيهَا وَعَجِيبِ الْحِكْمَةِ فِيهَا، وَسُمِّيَتْ سُورَةُ النِّسَاءِ بِهَذَا الِاسْمِ؛ لِمَا تَرَدَّدَ فِيهَا مِنْ كَثِيرٍ مِنْ أَحْكَامِ النِّسَاءِ وَتَسْمِيَةُ سُورَةِ الْأَنْعَامِ؛ لِمَا وَرَدَ فِيهَا مِنْ تَفْصِيلِ أَحْوَالِهَا، وَإِنْ كَانَ قَدْ وَرَدَ لَفْظُ الْأَنْعَامِ فِي غَيْرِهَا، إِلَّا أَنَّ التَّفْصِيلَ الْوَارِدَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ لَمْ يَرِدْ فِي غَيْرِهَا.[١]

تَرْتِيبُ النُّزُولِ:

عُدَّتِ السُّورَةَ الثَّمَانِينَ فِي تَرْتِيبِ نُزُولِ السُّوَرِ عِنْدَ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ. نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْـمعَارِجِ وَقَبْلَ سُورَةِ النَّازِعَاتِ.[٢]

---

(١) «الْبُرْهَانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ» (١/ ٢٧٠).

(٢) «النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ وَتَنْزِيلُ الْقُرْآنِ الْمَنْسُوبُ لِلزُّهْرِيِّ» (ص٤٠)، «الْإِتْقَانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ» (١/ ٤٣)، «التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ» (٣٠/ ٥)

مُنَاسَبَةُ السُّورَةِ لِمَا قَبْلَهَا:[١]

* **الوَجْهُ الأَوَّلُ:** لَمَّا أَخبَرَ اللهُ عَنْ يَومِ القِيَامَةِ فِي سُورَةِ «المُرْسَلَات» بِقَولِهِ: ﴿لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ١٢ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ﴾. أَخبَرَ هُنَا عَنهَا بِقَولِهِ: ﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتٗا﴾، فَكَأَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ شَرْحُ يَومِ الفَصْلِ المُجْمَلِ ذِكْرُهُ فِي السُّورَةِ الَّتِي قَبْلَهَا.[٢]

* **الوَجْهُ الثَّانِي:** اشْتِمَالُهَا عَلَى إِثْبَاتِ القُدْرَةِ عَلَى البَعْثِ الَّذِي أَنْكَرَهُ الكُفَّارُ فِي السُّورَةِ السَّابِقَةِ.

* **الوَجْهُ الثَّالِثُ:** فِي كِلْتَي السُّورَتَينِ وَصْفُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَمَا يَنْعَمُ بِهِ المُتَّقُونَ، وَيُعَذَّبُ بِهِ المُكَذِّبُونَ.

---

(١) عِلْمُ مُنَاسَبَاتِ القُرْآنِ: عِلْمٌ تَعرِفُ مِنْهُ عِلَلَ تَرْتِيبِ أَجْزَائِهِ، وَهُوَ مِنْ بَلاَغَةِ القُرْآنِ، وَيَرْبِطُ السُّوَرَ فَيَجْعَلُهَا كَالسُّورَةِ الوَاحِدَةِ، وَكَثِيرٌ مِنْ لَطَائِفِ القُرْآنِ مَوْدُوعَةٌ فِي التَّرْتِيبَاتِ وَالرَّوَابِطِ. رَاجِعْ: (مُقَدِّمَة تَفْسِيرِ نَظْم الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ) «أَسْرَارُ تَرْتِيبِ القُرْآنِ» (ص٥).

(٢) (أَسْرَارُ تَرْتِيبِ القُرْآنِ، السِّيُوطِيُّ، ص ١٥٢).

🕮 أَغْرَاضُ السُّورَةِ: -

١- اشْتَمَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَى وَصْفِ خَوْضِ الْمُشْرِكِينَ فِي شَأْنِ الْقُرْآنِ وَمَا جَاءَ بِهِ مِمَّا يُخَالِفُ مُعْتَقَدَاتِهِمْ، وَمِنْ ذَلِكَ: إِثْبَاتُ الْبَعْثِ، وَسُؤَالُ بَعْضِهِمْ بَعْضًا عَنِ الرَّأْيِ فِي وُقُوعِهِ -مُسْتَهْزِئِينَ بِالْإِخْبَارِ عَنْ وُقُوعِهِ-، وَتَهْدِيدُهُمْ عَلَى اسْتِهْزَائِهِمْ.

٢- وَفِيهَا إِقَامَةُ الْحُجَّةِ عَلَى إِمْكَانِ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ بِخَلْقِ الْمخْلُوقَاتِ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ مِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ، وَبِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ لِلْإِنْسَانِ وَأَحْوَالِهِ.

٣- وَوَصْفُ الْأَهْوَالِ الْحَاصِلَةِ عِنْدَ الْبَعْثِ مِنْ عَذَابِ الطَّاغِينَ مَعَ مُقَابَلَةِ ذَلِكَ بِوَصْفِ نَعِيمِ الْمُؤْمِنِينَ.

٤- وَصِفَةُ يَوْمِ الْحَشْرِ؛ إِنْذَارًا لِلَّذِينَ جَحَدُوا بِهِ، وَإِيمَاءً إِلَى أَنَّهُمْ يُعَاقَبُونَ بِعَذَابٍ قَرِيبٍ قَبْلَ عَذَابِ يَوْمِ الْبَعْثِ.(١)

🕮 هَلِ السُّورَةُ مَكِّيَّةٌ أَمْ مَدَنِيَّةٌ؟

۞ **قَالَ ابْنُ الجَوزِيِّ وَابْنُ عَطِيَّةَ وَالبِقَاعِيُّ**: هِيَ مَكِّيَّةٌ بِالإِجْمَاعِ.(٢)

---

(١) «مَصَاعِدُ النَّظَرِ لِلْإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ» (٣/ ١٥١)، (التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ ج٣٠ ص ٦).

(٢) «مَصَاعِدُ النَّظَرِ لِلْإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ» (٣/ ١٥٠).

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝٢ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾ [سُورَةُ النَّبَأ: ١-٥]

۞ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

قَالَ الحَسَنُ: لَمَّا بُعِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، جَعَلَ الْمُشْرِكُونَ يَتَسَاءَلُونَ بَينَهُمْ، فيَقُولُونَ: مَا الَّذِي أَتَى بِهِ؟ وَيَتَجَادَلُونَ، وَيَخْتَصِمُونَ فِيمَا بُعِثَ بِهِ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ.[1]

۞ التَّفْسِيرُ:

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾، قَالَ الزَّجَّاجُ: أَصْلُ (عَمَّ): عَنْ مَا، فَأُدْغِمَتِ النُّونُ فِي الْمِيمِ؛ لِأَنَّهَا تُشَارِكُهَا فِي الْغُنَّةِ.

وَالضَّمِيرُ فِي يَتَسَاءَلُونَ لِقُرَيْشٍ، عَنْ أَيِّ شَيْءٍ يَتَسَاءَلُونَ؟ فَاللَّفْظُ لَفظُ الِاسْتِفْهَامِ، وَالْمَعْنَى تَفْخِيمُ القِصَّةِ، كَمَا تَقُولُ: أَيّ شَيْءٍ زَيْدٌ.[2]

فقَوْلُهُ: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾: سُؤَالٌ، وَقَوْلُهُ: ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾: جَوَابٌ، وَالسَّائِلُ وَالْمُجِيبُ: هُوَ اللهُ تَعَالَى، فَإِنْ قِيلَ: مَا الْفَائِدَةُ فِي أَنْ يَذْكُرَ الْجَوَابَ مَعَهُ؟

---

(١) (جَامِعُ البَيَانِ عَنْ تَأْوِيلِ آيِ القُرْآنِ لِلطَّبَرِيِّ، ط عَالَمِ الكُتُبِ ٢٤/ ٥).

(٢) «مَعَانِي القُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ لِلزَّجَّاجِ» (٥/ ٢٧١).

قُلْنَا: لِأَنَّ إِيرَادَ الْكَلَامِ فِي مَعْرِضِ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ أَقْرَبُ إِلَى التَّفْهِيمِ وَالْإِيضَاحِ، وَنَظِيرُهُ ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾. [غافر: ١٦].

التَّسَاؤُلُ: هُوَ أَنْ يَسْأَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا؛ كَالتَّقَابُلِ، وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ أَيْضًا فِي أَنْ يَتَحَدَّثُوا بِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ سُؤَالٌ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الطُّور: ٢٥].

﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ ۝٥١ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ﴾. [الصَّافَّات: ٥١، ٥٢].

فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى التَّحَدُّثِ، فَيَكُونُ مَعْنَى الْكَلَامِ: عَمَّ يَتَحَدَّثُونَ، وَهَذَا قَوْلُ الْفَرَّاءِ.(١)

أَيْ: عَنْ أَيِّ شَيْءٍ؟

وَقَالَ البِقَاعِيُّ: خُفِّفَ لَفْظًا وَكِنَايَةً بِالإِدْغَامِ، وَحُذِفَ أَلِفُهُ؛ لِكَثْرَةِ الدَّوْرِ، وَالإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ هَذَا السُّؤَالِ مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُحْذَفَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَيُخْفَى وَيُسْتَحَى مِنْ ذِكْرِهِ وَيُخَفَّفُ.(٢)

وَلَمْ يَكُنِ السُّؤَالُ بِقَصْدِ مَعرِفَةِ الجَوَابِ مِنهُم؛ إِنَّمَا كَانَ لِلتَّعْجِيبِ مِنْ حَالِهِمْ، وَتَوْجِيهِ النَّظَرِ إِلَى غَرَابَةِ تَسَاؤُلِهِمْ.(٣)

---

(١) «تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ، مَفَاتِيحُ الغَيْبِ أَوِ التَّفْسِيرُ الكَبِيرُ» (٣١/ ٦).

(٢) «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/ ١٩٠).

(٣) (فِي ظِلَالِ القُرْآنِ ٦/ ٧٧٧).

﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾

النَّبَأُ فِي لُغَةِ العَرَبِ:

(نَبَأَ): النُّونُ وَالْبَاءُ وَالْهَمْزَةُ قِيَاسُهُ الْإِتْيَانُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ. يُقَالُ لِلَّذِي يَنْبَأُ مِنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ: نَابِئٌ.

وَمِنْ هَذَا الْقِيَاسِ، النَّبَأُ: الْخَبَرُ؛ لِأَنَّهُ يَأْتِي مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ. وَالْمُنْبِئُ: الْمُخْبِرُ.

وَهُوَ خَبَرٌ ذُو فَائِدَةٍ عَظِيمَةٍ، يَحْصُلُ بِهِ عِلْمٌ أَوْ غَلَبَةُ ظَنٍّ، وَلَا يُقَالُ لِلْخَبَرِ فِي الْأَصْلِ نَبَأٌ حَتَّى يَتَضَمَّنَ هَذِهِ الأَشْيَاءَ الثَّلَاثَةَ، وَحَقُّ الخَبَرِ الَّذِي يُقَالُ فِيهِ نَبَأٌ أَنْ يَتَعَرَّى عَنِ الكَذِبِ؛ كَالتَّوَاتُرِ، وَخَبَرِ الله تَعَالَى، وَخَبَرِ النَّبِيِّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وَلِتَضَمُّنِ النَّبَإِ مَعْنَى الخَبَرِ.(١) وَالنَّبَأُ: مَأْخُوذٌ مِنَ النَّبْوَةِ، وَهُوَ مَا عَلَا وَارْتَفَعَ مِنَ الأَرْضِ.

فَفِي ذَلِكَ كُلِّهِ تَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّهُ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يُذْعِنَ لَهُ كُلُّ سَامِعٍ وَيَهْتَمَّ بِأَمْرِهِ، لَا أَنْ يَشُكَّ فِيهِ وَيَجْعَلَهُ مَوْضِعًا لِلنِّزَاعِ.(٢)

---

(١) «المُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ القُرْآنِ» (ص٧٨٩)، (التَّفْسِيرُ العَقَدِيُّ لِجُزْءِ عَمَّ ص ١٣).

(٢) «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/ ١٩١).

۞ الْفَرْقُ بَيْنَ النَّبَإِ وَالْـخَبَرِ:

النَّبَأُ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلْإِخْبَارِ بِمَا لَا يَعْلَمُهُ الْمُخْبَرُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْخَبَرُ بِمَا يَعْلَمُهُ وَبِمَا لَا يَعْلَمُهُ، وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، وَإِنَّمَا اسْتَهْزَأُوا بِهِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا حَقِيقَتَهُ، وَلَوْ عَلِمُوا ذَلِكَ لَتَوَقَّوْهُ -يَعْنِي: الْعَذَابَ-، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ﴾، وَكَانَ النَّبِيُّ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ شَيْئًا مِنْهَا، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى عَنِ النَّبَإِ: مَعْنًى عَظِيمُ الشَّأْنِ. وَكَذَلِكَ أَخَذَ مِنْهُ صِفَةَ النَّبِيِّ أَبُو هِلَالٍ -أَيَّدَهُ اللهُ-؛ وَلِهَذَا يُقَالُ: سَيَكُونُ لِفُلَانٍ نَبَأٌ وَلَا يُقَالُ خَبَرٌ[1].

۞ وَاخْتُلِفَ فِي الْمُرَادِ بِالنَّبَإِ فِي هَذِهِ الآيَةِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْوَالٍ[2]:

---

(١) «الْفُرُوقُ اللُّغَوِيَّةُ لِلْعَسْكَرِيِّ» (ص٤١).

(٢) «تَفْسِيرُ الْمَاوَرْدِيِّ، النُّكَتُ وَالعُيُونُ» (٦/ ١٨٢).

۞ المُرَادُ بِالنَّبَأِ فِي هَذِهِ الآيَةِ أَرْبَعَةُ أَقوَالٍ:[١]

أَحَدُهَا: القُرْآنُ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ[٢]، وَمُقَاتِلٌ[٣]، وَالفَرَّاءُ.

۞ **وَقَالَ الفَرَّاءُ**: لِأَيِّ شَيْءٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ القُرآنِ؟!

۞ **وَقَالَ الوَاحِدِيُّ**: وَهُوَ القُرْآنُ فِي قَوْلِ جَمِيعِ المُفَسِّرِينَ.[٤] وَفِي هَذَا الإِطْلَاقِ نَظَرٌ.

۞ **قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ**: وَهُوَ الْأَظْهَرُ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾[٥]

وَالثَّانِي: أَنَّهُ أَمْرُ النَّبِيِّ ﷺ، حَكَاهُ الزَّجَّاجُ.[٦]

وَاخْتِلَافُهُمْ أَنَّ بَعْضَهُمْ زَعَمَ أَنَّهُ شَاعِرٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ سَاحِرٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مُفْتَرٍ كَذَّابٌ، وَادَّعَى بَعْضُهُمْ أَنَّهُ مَجْنُونٌ[٧].

وَالثَّالِثُ: عَنْ يَوْمِ القِيَامَةِ، قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ.[٨]

---

(١) «تَفْسِيرُ المَاوَرْدِيِّ، النُّكَتُ وَالعُيُونُ» (٦/ ١٨٢).

(٢) «الطَّبَرِيُّ» (٢٤/ ٦).

(٣) «تَفْسِيرُ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ» (٤/ ٥٥٧).

(٤) (التَّفسِيرُ البَسِيطُ لِلْوَاحِدِيِّ ٢٣/ ١٠٤).

(٥) «تَفْسِيرُ ابْنُ كَثِيرٍ ت سَلَامَة» (٨/ ٣٠٢).

(٦) «مَعَانِي القُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ لِلزَّجَّاجِ» (٥/ ٢٧١).

(٧) «تَفْسِيرُ المَاتُرِيدِيِّ، تَأْوِيلَاتُ أَهْلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٣٨٩)

(٨) «تَفْسِيرُ المَاوَرْدِيِّ، النُّكَتُ وَالعُيُونُ» (٦/ ١٨٢).

وَالرَّابِعُ: البَعْثُ، قَالَهُ قَتَادَةُ والزجاج.(١)

۞ **قَالَ الزَّجَّاجُ**: وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا﴾ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَسَاءَلُونَ عَنِ البَعْثِ.(٢)

والْأَقْرَبُ: أَنَّ النَّبَأَ العَظِيمَ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَتَدُلُّ عَلَيْهِ وُجُوهٌ:

أَحَدُهَا: قَوْلُهُ: ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾، والظَّاهِرُ: أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ: أَنَّهُمْ سَيَعْلَمُونَ هَذَا الَّذِي يَتَسَاءَلُونَ عَنْهُ حِينَ لَا تَنْفَعُهُمْ تِلْكَ الْـمعْرِفَةُ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

وَثَانِيهَا: أَنَّهُ تَعَالَى بَيَّنَ أَنَّهُ قَادِرٌ بِقَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾، وَذَلِكَ يَقْتَضِي أَنَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا قَدَّمَ هَذِهِ الْمُقَدِّمَةَ؛ لِبَيَانِ أَنَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى إِقَامَةِ الْقِيَامَةِ، وَلَمَّا كَانَ الَّذِي أَثْبَتَهُ اللهُ تَعَالَى بِالدَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ فِي هَذِهِ السُّورَةِ هُوَ هَذِهِ الْـمسْأَلَةُ، ثَبَتَ أَنَّ النَّبَأَ الْعَظِيمَ الَّذِي كَانُوا يَتَسَاءَلُونَ عَنْهُ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

وَثَالِثُهَا: أَنَّ الْعَظِيمَ اسْمٌ لِهَذَا الْيَوْمِ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾. [الْـمُطَفِّفِينَ: ٤، ٦]

وَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾. [ص: ٦٧، ٦٨]، وَلِأَنَّ هَذَا الْيَوْمَ أَعْظَمُ الْأَشْيَاءِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مُنْتَهَى فَزَعِ الْخَلْقِ وَخَوْفِهِمْ مِنْهُ، فَكَانَ تَخْصِيصُ اسْمِ الْعَظِيمِ بِهِ لَائِقًا.

---

(١) (الطَّبَرِيُّ ٢٤/ ٦).

(٢) «مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ لِلزَّجَّاجِ» (٥/ ٢٧١).

وَبَيْنَ البَعْثِ وَالقِيَامَةِ تَلَازُمٌ؛ فَالبَعْثُ هُوَ مُقَدِّمَةُ يَوْمِ القِيَامَةِ.[١]

۞ **وَقَالَ القُرْطُبِيُّ**: وَالْأَظْهَرُ أَنَّ سُؤَالَهُمْ إِنَّمَا كَانَ عَنِ الْبَعْثِ، قَالَ بَعْضُ عُلَمَائِنَا: وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا﴾ [النَّبَأ:١٧].[٢]

۞ **قُلْتُ**: الأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّ «النَّبَأَ» هُوَ القُرْآنُ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ [سُورَةُ ص:٦٧-٦٨].

أَمَّا حِكَايَةُ الإِجْمَاعِ؛ فَفِيهَا نَظَرٌ، وَكُلُّ هَذِهِ الأَقْوَالِ لَهَا وَجْهٌ، وَلَكِنَّ السُّورَةَ تَضَمَّنَتْ أَدِلَّةَ البَعْثِ؛ فَالأَوْلَى أَنْ يَكُونَ النَّبَأُ هُوَ البَعْثُ، أَوْ يُقَالُ: الكُلُّ مُرَادٌ، وَذَلِكَ لِلتَّلَازُمِ بَيْنَ البَعْثِ وَالقُرْآنِ وَأَمْرِ الرَّسُولِ؛ فَالرَّسُولُ ﷺ نَزَلَ عَلَيْهِ القُرْآنُ الَّذِي يَتَضَمَّنُ الأَمْرَ بِالاسْتِعْدَادِ لِلْبَعْثِ، وَاسْتِدْلَالُهُمْ بِـ ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ﴾ فِيهِ نَظَرٌ؛ فَالقُرْآنُ نَبَأٌ عَظِيمٌ، وَالبَعْثُ كَذَلِكَ نَبَأٌ عَظِيمٌ، وَقَدْ تَكَرَّرَ ذِكْرُ النَّبَأِ فِي القُرْآنِ مَعَ الأُمُورِ العَظِيمَةِ، وَلَا نَقْدِرُ أَنْ نَقُولَ أَنَّ المُرَادَ مِنْهَا جَمِيعًا القُرْآنُ، بَلِ المَرْجِعُ فِيهِ إِلَى سِيَاقِ الآيَاتِ.

﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾

فَمُؤْمِنٌ بِالبَعْثِ، وَكَافِرٌ بِهِ، وَكَذَا القُرْآنُ فَبَعْضُهُمْ جَعَلَهُ سِحْرًا، وَبَعْضُهُمْ قَالَ: إِنَّهُ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ، وَبَعْضُهُمْ جَعَلَهُ كِهَانَةً، وَقَدْ قَالَ اللهُ عَنْهُمْ: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾. [الحِجْر: ٩١].

(١) «تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ، مَفَاتِيحُ الغَيْبِ أَوِ التَّفْسِيرُ الكَبِيرُ» (٣١/ ٧).

(٢) «تَفْسِيرُ القُرْطُبِيِّ» (١٩/ ١٧٠).

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾

قَاعِدَةٌ كُلِّيَّةٌ فِي التَّفْسِيرِ: حَرْفُ (كَلَّا):

* **كَلَّا:** لِلرَّدْعِ وَالزَّجْرِ وَإِبْطَالِ قَوْلِ القَائِلِ، قَالَ سِيبَوَيْهِ: «كَلَّا»: حَرْفُ رَدْعٍ وَزَجْرٍ. وَعَلَيْهِ؛ فَلَا يُبْدَأُ بِهَا الكَلَامُ.

وعِنْدَ الْكِسَائِيِّ: بِمَعْنَى حَقًّا؛ فَيُبْتَدَأُ بِهَا لِتَأْكِيدِ مَا بَعْدَهَا

* ولَمْ تَقَعْ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا فِي سُورَةٍ مَكِّيَّةٍ؛ لِأَنَّ التَّهْدِيدَ وَالْوَعِيدَ أَكْثَرُ مَا نَزَلَ بِمَكَّةَ؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ عُتُوِّ الْمُشْرِكِينَ وَتَجَبُّرِهِمْ بِمَكَّةَ، فَإِذَا رَأَيْتَ سُورَةً فِيهَا «كَلَّا» فَاعْلَمْ أَنَّهَا مَكِّيَّةٌ.

- وَجَمِيعُ «كَلَّا» فِي الْقُرْآنِ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ مَوْضِعًا فِي خَمْسَ عَشْرَةَ سُورَةً لَيْسَ فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ من القرآن مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، مِنْهَا سَبْعَة مَوَاضِعَ لِلرَّدْعِ اتِّفَاقًا.[1]

تَفْسِيرُ الآيَاتِ:

قَالَ الطَّبَرِيُّ: يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: مَا الْأَمْرُ كَمَا يَزْعُمُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ بَعْثَ اللهِ إِيَّاهُمْ أَحْيَاءً بَعْدَ مَمَاتِهِمْ، وَتَوَعَّدَهُمْ

(١) «الْمُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ» (ص٧٢٥)، «الْبُرْهَانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ» (٤/ ٣١٣)، «الإِتْقَانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ» (١/ ٣٠٢).

جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ مِنْهُمْ، فَقَالَ: ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ يَقُولُ: سَيَعْلَمُ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ الْمُنْكِرُونَ وَعِيدَ اللهِ لِأَعْدَائِهِ مَا اللهُ فَاعِلٌ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ أَكَّدَ الْوَعِيدَ بِتَكْرَارٍ آخَرَ، فَقَالَ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَزْعُمُونَ، مِنْ أَنَّ اللهَ لَنْ يُحْيِيَهُمْ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ، وَلَنْ يُعَاقِبَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ بِهِ، سَيَعْلَمُونَ أَنَّ الْقَوْلَ غَيْرُ مَا قَالُوا، إِذَا لَقُوا اللهَ وَأَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا مِنْ سَيِّئِ أَعْمَالِهِمْ.[١]

قَالَ الضَّحَّاكُ: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ الْكُفَّارُ ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ الْمُؤْمِنُونَ، وَكَذَلِكَ كَانَ يَقْرَؤُهَا.[٢]

وَقَالَ الْحَسَنُ: هَذَا رَدْعٌ، وَوَعِيدٌ بَعْدَ وَعِيدٍ.

وَحَرْفُ الوَعِيدِ يُكَرِّرُهُ العَرَبُ لِلتَّأْكِيدِ، كَمَا يُقَالُ: هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، وَأَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى[٣].

وَمَعْنَى ﴿ثُمَّ﴾: الإِشْعَارُ بِأَنَّ الوَعِيدَ الثَّانِي أَبْلَغُ مِنَ الأَوَّلِ وَأَشَدُّ.

---

(١) (الطَّبَرِيُّ ٢٤/ ٨).

(٢) (الطَّبَرِيُّ ٢٤/ ٨).

(٣) («تَفْسِيرُ المَاتُرِيدِيِّ، تَأْوِيلَاتُ أَهْلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٣٩١).

ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ ﷻ تِسْعَةَ أَشْيَاءَ لِتَقْرِيرِ البَعْثِ:[١]

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَـٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّـٰتٍ أَلْفَافًا﴾

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ اتَّصَلَ بِمَا سَبَقَ قَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا﴾ بِمَا سَبَقَ؟

قُلْتُ: لَمَّا أَنْكَرُوا البَعْثَ قِيلَ لَهُمْ: أَلَمْ يَخْلُقْ مَنْ يُضَافُ إِلَيْهِ البَعْثُ هَذِهِ الخَلَائِقَ العَجِيبَةَ الدَّالَّةَ عَلَى كَمَالِ القُدْرَةِ، فَمَا وَجْهُ إِنْكَارِ قُدْرَتِهِ عَلَى البَعْثِ؟![٢]

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا﴾ [النَّبَأ:٦]

أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مُمَهَّدَةً لَهُمْ كَمِهَادِ الصَّبِيِّ، وَلَو كَانَتْ كُلُّهَا جِبَالًا، مَا انْتَفَعُوا بِهَا.

(١) «تَفْسِيرُ الزَّمَخْشَرِيِّ، الكَشَّافُ عَنْ حَقَائِقِ غَوَامِضِ التَّنْزِيلِ» (٤/ ٦٨٤).

(٢) «تَفْسِيرُ الزَّمَخْشَرِيِّ» (٤/ ٦٨٥) بِتَصَرُّفٍ.

📖 **أَقْوَالُ الْمُفَسِّرِينَ فِي تَفْسِيرِ الآيَةِ:-**

۞ **عَنْ قَتَادَةَ:** ﴿مِهَٰدًا﴾ أَيْ: بِسَاطًا. [١]

۞ **قَالَ الزَّجَّاجُ:** إِنَّا ذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ حَتَّى سَكَنُوهَا وَسَارُوا فِي مَنَاكِبِهَا. [٢]

﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النَّبَأ:٧]

وَوَظِيفَةُ الجَبَلِ فِي الأَرْضِ كَوَظِيفَةِ الوَتَدِ فِي الخَيْمَةِ.

﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [النَّبَأ:٨]

وَيَدْخُلُ فِي هَذَا، كُلُّ زَوْجٍ مِنْ قَبِيحٍ وَحَسَنٍ، وَطَوِيلٍ وَقَصِيرٍ».

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَاذَا خَلَقَنَا اللهُ ﷻ أَزْوَاجًا وَلَمْ يَخْلُقْنَا جَمِيعًا شَيْئًا وَاحِدًا؟

۞ **قَالَ القُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:** «لِتَخْتَلِفَ الأَحْوَالُ، فَيَقَعَ الاعْتِبَارُ؛ لِيَشْكُرَ الفَاضِلُ وَيَصْبِرَ المَفْضُولُ» [٣].

وَقَدْ جَاءَ فِي الإِسْرَائِيلِيَّاتِ عَنْ دَاوُدَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أنه قَالَ لِرَبِّهِ: «يَا رَبِّ: لِمَ لَمْ تُسَاوِ بَيْنَ خَلْقِكَ؟ فَقَالَ اللهُ لَهُ: «يَا دَاوُدُ؛ أَرَدْتُ أَنْ أُشْكَرَ»، وَيَشْهَدُ لِهَذَا المَعْنَى قَوْلُ رَبِّنَا: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ [الفُرْقَان:٢٠].

فالغَنِيُّ فِتْنَةٌ لِلْفَقِيرِ، أَيَصْبِرُ الفَقِيرُ وَيَرْضَى بِمَا قَضَاهُ اللهُ لَهُ؟

وَالفَقِيرُ فِتْنَةٌ لِلْغَنِيِّ، أَسَيُعْطِيهِ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ، أَمْ سَيَبْخَلُ بِمَالِهِ؟

---

(١) (الطَّبَرِيُّ ٢٤/ ٨).

(٢) «مَعَانِي القُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ لِلزَّجَّاجِ» (٥/ ٢٧١).

(٣) «تَفْسِيرُ القُرْطُبِيِّ» (١٩/ ١٧١).

﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ يَعْنِي: ذَكَرًا وَأُنْثَى، يَسْتَمْتِعُ كُلٌّ مِنْهُمَا بِالْآخَرِ، وَيَحْصُلُ التَّنَاسُلُ بِذَلِكَ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الرُّوم: ٢١].[١] قَالَ السَّعْدِيُّ: وَفِي هَذَا، الامْتِنَانُ بِلَذَّةِ الْمَنْكَحِ.[٢]

وَلَمَّا ذَكَرَ مَا هُوَ سَبَبٌ لِبَقَاءِ النَّوْعِ، ذَكَرَ مَا هُوَ سَبَبٌ لِحِفْظِهِ مِنْ إِسْرَاعِ الفَسَادِ، فَقَالَ:[٣]

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [النَّبَأ:٩]

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لَكُمْ غِشَاءً يَتَغَشَّاكُمْ سَوَادُهُ، وَتُغَطِّيكُمْ ظُلْمَتُهُ، كَمَا يُغَطِّي الثَّوْبُ لَابِسَهُ؛ لِتَسْكُنُوا فِيهِ عَنِ التَّصَرُّفِ لِمَا كُنْتُمْ تَتَصَرَّفُونَ لَهُ نَهَارًا.

وَالسَّبْتُ: بِمَعْنَى القَطْعِ، أَيْ: وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ قَطْعًا لِحَرَكَتِكُم، وَرَاحَةً لِأَبْدَانِكُمْ.

۞ قَالَ الطَّبَرِيُّ: السَّبْتُ وَالسُّبَاتُ: هُوَ السُّكُونُ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ السَّبْتُ سَبْتًا؛ لِأَنَّهُ يَوْمُ رَاحَةٍ وَدَعَةٍ[٤].

(١) «تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ» (٨/ ٣٠٢).
(٢) «تَفْسِيرُ السَّعْدِيِّ، تَيْسِيرُ الكَرِيمِ الرَّحْمَنِ» (ص٩٠٦).
(٣) «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/ ١٩٦).
(٤) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (٢٤/ ٩).

۞ **وَقَالَ الزَّجَّاجُ:** وَالسُّبَاتُ: أَنْ يَنْقَطِعَ عَنِ الحَرَكَةِ وَالرُّوحُ فِي بَدَنِهِ، أَيْ: جَعَلْنَا نَوْمَكُمْ رَاحَةً لَكُمْ[1].

وَفِي الآيَةِ أَرْبَعَةُ تَأْوِيلَاتٍ:

* **أَحَدُهَا:** نُعَاسًا، قَالَهُ السُّدِّيُّ.

* **الثَّانِي:** سَكَنًا، قَالَهُ قَتَادَةُ.

* **الثَّالِثُ:** رَاحَةً وَدَعَةً، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ يَوْمُ السَّبْتِ سَبْتًا؛ لِأَنَّهُ يَوْمُ رَاحَةٍ وَدَعَةٍ

* **الرَّابِعُ:** سُبَاتًا أَيْ: قَطْعًا لِأَعْمَالِهِمْ؛ لِأَنَّ أَصْلَ السُّبَاتِ القَطْعُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: سَبَتَ الرَّجُلُ شَعْرَهُ إِذَا قَطَعَهُ، قَالَ الأَنْبَارِيُّ: وَسُمِّيَ يَوْمُ السَّبْتِ؛ لِانْقِطَاعِ الأَعْمَالِ فِيهِ.

* **وَيُحْتَمَلُ خَامِسٌ:** أَنَّ السُّبَاتَ مَا قَرَّتْ فِيهِ الحَوَاسُّ حَتَّى لَمْ تُدْرِكْ بِهَا الحِسّ[2].

السَّبْتُ: بِمَعْنَى القَطْعِ، أَيْ: وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ قَطْعًا لِحَرَكَتِكُم، وَرَاحَةً لِأَبْدَانِكُمْ.

وقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ فِي قَوْلِهِ: ﴿سُبَاتًا﴾ أَيْ: قَطْعًا، وَهَذَا يَحْتَمِلُ وُجُوهًا:

* **الْأَوَّلُ:** أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ نَوْمًا مُتَقَطِّعًا لَا دَائِمًا؛ فَإِنَّ

---

(١) «مَعَانِي القُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ لِلزَّجَّاجِ» (٥/ ٢٧٢).

(٢) «تَفْسِيرُ المَاوَرْدِيِّ، النُّكَتُ وَالعُيُونُ» (٦/ ١٨٣).

النَّوْمَ بِمِقْدَارِ الْحَاجَةِ مِنْ أَنْفَعِ الْأَشْيَاءِ.

أَمَّا دَوَامُهُ؛ فَمِنْ أَضَرِّ الْأَشْيَاءِ، فَلَمَّا كَانَ انْقِطَاعُهُ نِعْمَةً عَظِيمَةً؛ فَلَا جَرَمَ أَنْ يَذْكُرَهُ اللهُ تَعَالَى فِي مَعْرِضِ الْإِنْعَامِ.

* **الثَّانِي**: أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا تَعِبَ ثُمَّ نَامَ، فَذَلِكَ النَّوْمُ يُزِيلُ عَنْهُ ذَلِكَ التَّعَبَ، فَسُمِّيَتْ تِلْكَ الْإِزَالَةُ سَبْتًا وَقَطْعًا: ﴿سُبَاتًا﴾ أَيْ: رَاحَةً، والْمقْصُودُ: أَنَّ النَّوْمَ يَقْطَعُ التَّعَبَ وَيُزِيلُهُ، فَحِينَئِذٍ تَحْصُلُ الرَّاحَةُ.[١]

قَالَ مُقَاتِلٌ: إِذَا دَخَلَ اللَّيْلُ، أَدْرَكَكُمُ النَّوْمُ فَتَسْتَرِيحُونَ، وَلَوْلَا النَّوْمُ، مَا اسْتَرَحْتُمْ أَبَدًا مِنَ الحِرْصِ وَطَلَبِ المَعِيشَةِ.[٢]

قَالَ الطَّبَرِيُّ: السَّبْتُ وَالسُّبَاتُ: هُوَ السُّكُونُ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ السَّبْتُ سَبْتًا؛ لِأَنَّهُ يَوْمُ رَاحَةٍ وَدَعَةٍ.[٣]

وقَالَ الزَّجَّاجُ: وَالسُّبَاتُ: أَنْ يَنْقَطِعَ عَنِ الحَرَكَةِ وَالرُّوحُ فِي بَدَنِهِ، أَيْ: جَعَلْنَا نَوْمَكُمْ رَاحَةً لَكُمْ.[٤]

حِكَمٌ وَعِبَرٌ وَفَوَائِد فِي النَّوْمِ:

وقَالَ البِقَاعِيُّ: النَّوْمُ مُذَكِّرٌ بِالمَوْتَةِ الكُبْرَى، وَالِاسْتِيقَاظُ مُذَكِّرٌ بِالبَعْثِ.[٥]

---

(١) «تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ، مَفَاتِيحُ الغَيْبِ أَوِ التَّفْسِيرُ الكَبِيرُ» (٣١/ ٩).

(٢) «تَفْسِيرُ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ» (٤/ ٥٥٨).

(٣) (الطَّبَرِيُّ ٢٤/ ٩).

(٤) «مَعَانِي القُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ لِلزَّجَّاجِ» (٥/ ٢٧٢).

(٥) «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/ ١٩٦).

۞ **وَقَـالَ سَـيِّدُ قُطْـب:** فِي النَّـوْمِ أَسْرَارٌ غَـيْرُ تَلْبِيَـةِ حَاجِـةِ الجَسَـدِ وَالأَعْصَـابِ، إِنَّـهُ هُدْنَـةُ الـرُّوحِ مِـنْ صِرَاعِ الحَيَـاةِ العَنِيـفِ، هُدْنَـةٌ لِلْفَـرِدِ فَيُلْقِـي سِـلَاحَهُ وَجُنَّتَـهُ -طَائِعًـا أَوْ غَـيرَ طَائِـعٍ-، وَيَسْتَسْـلِمُ لِفَـتْرَةٍ مِـنَ السَّـلَامِ الآمِـنِ، السَّـلامِ الـذِي يَحْتَاجُـهُ الفَـرْدُ حَاجَتَـهُ إِلَى الطَّعَـامِ وَالـشَّرَابِ. وَيَقَـعُ مَـا يُشْبِـهُ المُعْجِـزَاتِ فِي بَعْـضِ الحَـالَاتِ؛ حَيْـثُ يَلُـمُّ النُّعَـاسُ بالأَجْفَـانِ، وَالـرُّوحُ مُثْقَلَـةٌ، وَالأَعْصَـابُ مَكْـدُودَةٌ، وَالنَّفْـسُ مُنْزَعِجَـةٌ، وَالقَلْـبُ مُـرَوَّعٌ، وَكَأَنَّـمَا هَـذَا النُّعَـاسُ -وَأَحْيَانـاً لَا يَزِيـدُ عَـنْ لَحَظَاتٍ- انْقِـلَابٌ تَـامٌّ فِي كِيَـانِ هَـذَا الفَـرْدِ، وَتَجْدِيـدٌ كَامِـلٌ لَا لِقُـوَاهُ بَـلْ لَـهُ.[١]

وَذَكَرَ السَّعْدِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ مَعْنَىً قَرِيبًا مِنْ هَذَا، فَقَالَ: رَاحَةً لَكُمْ، وَقَطْعًا لِأَشْغَالِكُمْ، الَّتِي مَتَى تَمَادَتْ بِكُمْ، أَضَرَّتْ بِأَبْدَانِكُمْ، فَجَعَلَ اللهُ اللَّيْلَ وَالنَّوْمَ يَغْشَيَانِ النَّاسَ؛ لِتَنْقَطِعَ حَرَكَاتُهُمُ الضَّارَّةُ، وَتَحْصُلَ رَاحَتُهُمُ النَّافِعَةُ أهـ.

وَلَقَـدِ امْتَـنَّ اللهُ عَـلَى رَسُـولِهِ ﷺ وَعَـلَى أَهْـلِ الإِيـمَانِ بِالنُّعَـاسِ الَّـذِي هُـوَ مُقَدِّمَـةُ النَّـوْمِ، فَقَـالَ: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ فِـي مَوْقِعَـةِ بَـدْرٍ وَأُحُـدٍ.

ثُـمَّ فِي إِنْشَـاءِ النَّـوْمِ دَلِيـلُ سُـلْطَانِهِ، وَدُخُـولُ الخَلْـقِ بِأَجْمَعِهِـمْ تَحْـتَ تَدْبِيرِهِ؛ إِذْ لَمْ يَتَهَيَّـأْ لِأَحَـدٍ الِاحْـتِرَازُ مِـنَ النَّـوْمِ حَتَّـى لَا يَعْتَرِيَـهِ؛ بَـلْ يَقْهَـرُ الجَبَابِـرَةَ فَيُذِلُّـهُمْ، وَلَا يُمْكِنُهُـمُ الخَـلَاصُ عَنْـهُ بِالحِيَـلِ وَالأَسْـبَابِ، ثُـمَّ النَّـوْمُ كَأَنَّـهُ مِـنْ

(١) (فِي ظِلَالِ القُرْآنِ، ٦/ ٧٨٠).

أَثْقَلِ الأَحْمَالِ وَأَشَدِّهَا، ثُمَّ إِذَا زَايَلَ الإِنْسَانَ، وَعَادَ المَرْءُ إِلَى حَالِ اليَقَظَةِ، وَجَدَ فِي نَفْسِهِ خِفَّةً وَرَاحَةً، وَمِنْ شَأْنِ هَذَا الإِنْسَانِ: أَنَّهُ إِذَا حَمَلَ الحِمْلَ الثَّقِيلَ، مَسَّهُ مِنْ ذَلِكَ فُتُورٌ وَكَلَالٌ لَا يَزُولُ عَنْهُ سَاعَةَ مَا يَضَعُ الحِمْلَ عَنْ نَفْسِهِ؛ بَلْ يَبْقَى ذَلِكَ الكَلَالُ فِيهِ إِلَى مُدَّةٍ، فَمَنْ تَدَبَّرَ فِي أَمْرِ النَّوْمِ، دَلَّهُ عَلَى عَظِيمِ شَأْنِهِ وَعَجَائِبِ تَدْبِيرِهِ[(١)].

وَلَمَّا ذَكَرَ النَّوْمَ، أَتْبَعَهُ وَقْتَهُ الأَلْيَقَ بِهِ مُذَكِّرًا بِنِعْمَةِ الظَّرْفِ الزَّمَانِيِّ بَعْدَ التَّذْكِيرِ بِالظَّرْفِ المَكَانِيِّ.[(٢)]

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴾

تَلْبَسُكُمْ ظُلْمَتُهُ وَتَغْشَاكُمْ، وَاللِّبَاسُ: مَا يَلْبَسُهُ الإِنْسَانُ وَيَتَغَطَّى بِهِ، فَكَأَنَّ اللَّيْلَ لَبِسَ الكَائِنَاتِ، أَوِ الكَائِنَاتُ لَبِسَتِ اللَّيْلَ، وَغَطَّاهَا اللَّيْلُ بِظَلَامِهِ.

عَنْ قَتَادَةَ فِي ﴿لِبَاسًا﴾، قَالَ: سَكَنًا.[(٣)]

وقَالَ الزَّجَّاجُ: أَيْ: تَسْكُنُونَ فِيهِ وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَيْكُمْ.[(٤)]

وقَالَ الْقَفَّالُ: أَصْلُ اللِّبَاسِ: هُوَ الشَّيْءُ الَّذِي يَلْبَسُهُ الْإِنْسَانُ

(١) «تَفْسِيرُ المَاتُرِيدِيِّ، تَأْوِيلَاتُ أَهْلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٣٩٢).
(٢) «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/ ١٩٧).
(٣) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (٢٤/ ٩).
(٤) «مَعَانِي القُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ» (٥/ ٢٧٢).

وَيَتَغَطَّى بِهِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ مُغَطِّيًا لَهُ، وَاللَّيْلُ يَغْشَى النَّاسَ بِظُلْمَتِهِ فَيُغَطِّيهِمْ فَجُعِلَ لِبَاسًا لَهُمْ.[١]

﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾

وَجَعَلْنَا النَّهَارَ وَقْتًا لِلْمَعَاشِ أَوْ سَبَبًا لِلْمَعَاشِ، فَتَبْتَغُونَ فِيهِ مِنْ فَضْلِ اللهِ.

قَالَ الوَاحِدِيُّ: كُلُّ شَيْءٍ يُعَاشُ بِهِ فَهُوَ مَعَاشٌ.

العَيْشُ: الحَيَاةُ. **وَالمَعِيشَةُ**: الَّتِي يَعِيشُ بِهَا الإِنْسَانُ مِنَ المَطْعَمِ وَالمَشْرَبِ، وَكُلُّ شَيْءٍ يُعَاشُ بِهِ أَوْ فِيهِ فَهُوَ مَعَاشٌ؛ النَّهَارُ مَعَاشٌ، وَالأَرْضُ مَعَاشٌ لِلْخَلْقِ يَلْتَمِسُونَ فِيهَا مَعَايِشَهُمْ[٢].

وقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: وَلَمَّا جَعَلَ النَّوْمَ مَوْتًا، جَعَلَ اليَقَظَةَ مَعَاشًا، أَيْ: حَيَاةً.[٣]

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾

قَالَ مُقَاتِلٌ: فَاحْذَرُوا أَنْ تَسْقُطَ عَلَيْكُم إِنْ عَصَيتُمْ.[٤]

وقَالَ الطَّبَرِيُّ: يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ﴾: وَسَقَّفْنَا فَوْقَكُمْ، فَجَعَلَ السَّقْفَ بِنَاءً، إِذْ كَانَتِ الْعَرَبُ تُسَمِّي سُقُوفَ الْبُيُوتِ

(١) «تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ، مَفَاتِيحُ الغَيْبِ أَوِ التَّفْسِيرُ الكَبِيرُ» (٣١/ ٩).

(٢) «العَيْنُ» (٢/ ١٨٩).

(٣) «تَفْسِيرُ الزَّمَخْشَرِيِّ، الكَشَّافُ عَنْ حَقَائِقِ غَوَامِضِ التَّنْزِيلِ» (٤/ ٦٨٥).

(٤) «تَفْسِيرُ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ» (٤/ ٥٥٩).

-وَهِيَ سَمَاؤُهَا- بِنَاءً، وَكَانَتِ السَّمَاءُ لِلْأَرْضِ سَقْفًا، فَخَاطَبَهُمْ بِلِسَانِهِمْ، إِذْ كَانَ التَّنْزِيلُ بِلِسَانِهِمْ، وَقَالَ: ﴿سَبْعًا شِدَادًا﴾ إِذْ كَانَتْ وَثَاقًا مُحْكَمَةَ الْخَلْقِ، لَا صُدُوعَ فِيهِنَّ وَلَا فُطُورَ، وَلَا يُبْلِيهِنَّ مَرُّ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ.(١)

فَائِدَةٌ:

الآيَةُ الوَحِيدَةُ الَّتِي ذُكِرَ فِيهَا أَنَّ الأَرَاضِينَ سَبْعٌ هِيَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطَّلَاق:١٢]، هَذِهِ هِيَ الآيَةُ الوَحِيدَةُ الَّتِي ذُكِرَ فِيهَا أَنَّ الأَرَاضِينَ سَبْعٌ.

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾

- قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿وَهَّاجًا﴾: مُنِيرًا.(٢)
- قَالَ الزَّجَّاجُ: وَتَأْوِيلُ ﴿وَهَّاجًا﴾: وَقَّادًا.(٣) وَبَيْنَهُمَا تَلَازُمٌ.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾

---

(١) (الطَّبَرِيُّ ٢٤/ ١٠).
(٢) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (٢٤/ ١١).
(٣) «مَعَانِي القُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ» (٥/ ٢٧٢).

وَقَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ (الْمُعْصِرَاتُ) فِيهِ ثَلَاثَةُ أَوْجُهٍ: -

* **أَحَدُهَا**: أَنَّ الْمُعْصِرَاتِ الرِّيَاحُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعِكْرِمَةُ[١] .

* **الثَّانِي**: أَنَّهَا السَّحَابُ، قَالَهُ سُفْيَانُ وَالرَّبِيعُ[٢] .

* **الثَّالِثُ**: أَنَّ الْمُعْصِرَاتِ السَّمَاءُ، قَالَهُ الحَسَنُ وَقَتَادَةُ[٣].

وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْمُعْصِرَاتِ: هِيَ السَّحَابُ يَعْصِرُ بَعَضُهُ بَعْضًا فَيَنْزِلُ مِنْهُ المَاءُ.

وَرَجَّحَهُ الطَّبَرِيُّ، فَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ وَرَفَعَ دَرَجَتَنَا وَدَرَجَتَهُ فِي الجَنَّةِ: أَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ أَخْبَرَ أَنَّهُ أَنْزَلَ مِنَ الْمُعْصِرَاتِ -وَهِيَ الَّتِي قَدْ تَحَلَّبَتْ بِالْمَاءِ مِنَ السَّحَابِ- مَاءً، وَإِنَّمَا قُلْنَا أَنَّ ذَلِكَ أَوْلَى بِالصَّوَابِ؛ لِأَنَّ الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ عَلَى أَحَدِ الْأَقْوَالِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي ذَكَرْتُ.

وَالرِّيَاحُ لَا مَاءَ فِيهَا فَيَنْزِلُ مِنْهَا، وَإِنَّمَا يَنْزِلُ بِهَا، وَكَانَ يَصِحُّ أَنْ تَكُونَ الرِّيَاحَ، لَوْ كَانَتِ الْقِرَاءَةُ: (وَأَنْزَلْنَا بِالْمُعْصِرَاتِ)، فَلَمَّا كَانَتِ الْقِرَاءَةُ: ﴿مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾، عُلِمَ أَنَّ الْمعْنِيَّ بِذَلِكَ مَا وَصَفْتُ، وَالتَّأْوِيلُ عَلَى الْأَغْلَبِ هُوَ مَعْنَى الْكَلَامِ. فَإِنْ قَالَ: فَإِنَّ السَّمَاءَ قَدْ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مُرَادًا بِهَا. قِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ؛ فَإِنَّ الْأَغْلَبَ هُوَ نُزُولُ الْغَيْثِ مِنَ السَّحَابِ دُونَ غَيْرِهِ.[٤]

(١) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (٢٤/ ١٢).

(٢) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (٢٤/ ١٣).

(٣) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (٢٤/ ١٣).

(٤) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (٢٤/ ١٤).

۞ **قَالَ الْقُرْطُبِيُّ**: وَأَصَحُّ الْأَقْوَالِ أَنَّ الْمُعْصِرَاتِ السَّحَابُ، كَذَا الْمعْرُوفُ أَنَّ الْغَيْثَ مِنْهَا، وَلَوْ كَانَ (بِالْمُعْصِرَاتِ)، لَكَانَ الرِّيحُ أَوْلَى.(١)

وَرَجَّحَهُ أَيْضًا ابْنُ كَثِيرٍ، فَقَالَ: وَالْأَظْهَرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْمُعْصِرَاتِ: السَّحَابُ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ [الرُّومِ: ٤٨] أَيْ: مِنْ بَيْنِهِ.(٢)

﴿مَآءً ثَجَّاجًا﴾

۞ **قَالَ الطَّبَرِيُّ**: مَاءً مُنْصَبًّا يَتْبَعُ بَعْضُهُ بَعْضًا، كَثَجِّ دِمَاءِ الْبُدْنِ، وَذَلِكَ سَفْكُهَا.

۞ **قَالَ الزَّجَّاجُ**: وَمَعْنَى ثَجَّاجًا: صَبَّابًا.(٣)

۞ **وَقَالَ عَبِيدُ بْنُ الْأَبْرَصِ**: الثَّجُّ: الصَّبُّ الْمُتَتَابِعُ، وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «أَفْضَلُ الْحَجِّ الْعَجُّ وَالثَّجُّ»(٤) يَعْنِي بِالثَّجِّ: صَبّ دِمَاءِ الْهَدَايَا وَالْبُدْنِ بِذَبْحِهَا، يُقَالُ مِنْهُ: ثَجَجْتُ دَمَهُ، فَأَنَا أَثُجُّهُ ثَجًّا، وَقَدْ ثَجَّ الدَّمُ،

(١) «تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ» (١٩/ ١٧٣).
(٢) «تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ» (٨/ ٣٠٣).
(٣) «مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ» (٥/ ٢٧٢).
(٤) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٨٢٧).

فَهُـوَ يَثُـجُّ ثُجُوجًـا.[١]

﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾

﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ﴾ أَيْ: بِذَلِـكَ المَـاءِ. ﴿حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ جُمْهُـورُ العُلَـمَاءِ نَقَلَـهُ عَنْهُـمُ ابْـنُ الجَـوْزِيِّ فِي «زَادِ المَسِـيرِ» قَـالَ: الحَـبُّ: هُـوَ مَـا يَأْكُلُـهُ النَّـاسُ، وَالنَّبَـاتُ: مَـا يَأْكُلُـهُ النَّـاسُ أَوِ الأَنْعَـامُ.

قَـالَ الزَّجَّـاجُ: كُلُّ مَـا حُصِـدَ فَهُـوَ حَـبٌّ، وَكُلُّ مَـا أَكَلَتْـهُ المَاشِـيَةُ مِـنَ الـكَلَأِ فَهُـوَ نَبَـاتٌ.[٢] الحَـبُّ: مَـا يَأْكُلُـهُ النَّـاسُ.

﴿وَجَنَّٰتٍ﴾ الجَنَّـةُ: هِـيَ البُسْـتَانُ، وَسُـمِّيَ البُسْـتَانُ جَنَّـةً؛ لِأَنَّـهُ يُجِـنُّ مَـنْ بِدَاخِلِـهِ، أَيْ: يَسْـتُرُهُ.

وَالجَنَّةُ: كُلُّ بُسْتَانٍ ذِي شَجَرٍ يَسْتُرُ بِأَشْجَارِهِ الأَرْضَ.[٣]

﴿أَلْفَافًا﴾ أَيْ: مُلْتَفَّـةٌ بَعْضُهَـا حَـوْلَ بَعْـضٍ؛ لِتَشَـعُّبِ أَغْصَانِهَـا، ذَكَـرَهُ الطَّـبَرِيُّ بِنَحْـوِهِ عَـنِ ابْـنِ عَبَّـاسٍ وَمُجَاهِـدٍ وَقَتَـادَةَ.[٤]

وَعَـنْ قَتَـادَةَ فِي قَوْلِـهِ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾ إِلَى قَوْلِـهِ: ﴿مَعَاشًا﴾ قَـالَ:

---

(١) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (٢٤/ ١٥).

(٢) «مَعَانِي القُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ» (٥/ ٢٧٢).

(٣) «المُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ القُرْآنِ» (ص٢٠٤).

(٤) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (٢٤/ ١٧).

نِعَمٌ مِنَ اللهِ يُعَدِّدُهَا عَلَيْكَ يَا ابْنَ آدَمَ؛ لِتَعمَلَ عَلَى أَدَاءِ شُكْرِهَا.(١)

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا﴾

كَانَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ يَقُولُونَ: ﴿مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يُخْبِرُهُمْ بِأَنَّ مِيقَاتَ ذَلِكَ اليَوْمِ كَائِنٌ يَوْمَ الفَصْلِ.(٢)

وَيَوْمُ الفَصْلِ هُوَ يَوْمُ القِيَامَةِ، وَقَدْ عَدَّ القُرْطُبِيُّ لِيَومِ القِيَامَةِ ثَمَانِينَ اسْمًا، وَعَدَّ ابْنُ كَثِيرٍ خَمْسِينَ اسْمًا(٣)؛ مِنْهَا:

(١) «الدُّرُّ المَنْثُورُ فِي التَّفْسِيرِ بِالمَأْثُورِ» (٨/ ٣٩٠).
(٢) «تَفْسِيرُ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ» (٤/ ٥٦٠).
(٣) (التَّفْسِيرُ العَقَدِيُّ لِجُزْءِ عَمَّ).

(القِيَامَةُ)؛ لِأَنَّ النَّاسَ يَقُومُونَ فِيهِ لله رَبِّ العَالَمِينَ.

(الفَصْلُ)؛ لِأَنَّ اللهَ يَفْصِلُ فِيهِ بَيْنَ الخَلَائِقِ.

(التَّغَابُنِ)؛ لِعِظَمِ الخَسَارَةِ فِيهِ.

(الحَاقَّةُ)؛ لِأَنَّ فِيهِ تَحَقُّقَ الوَعِيدِ.

(القَارِعَةُ)؛ فَهُوَ الَّذِي يَقْرَعُ القُلُوبَ. وَغَيرُهَا مِنَ الأَسْمَاءِ.

﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ﴾ [الصَّافَّات: ٢١]، أَيْ: اليَوْمَ يُبَيِّنُ الحَقَّ مِنَ البَاطِلِ، وَيَفْصِلُ بَيْنَ النَّاسِ بِالحُكْمِ، وَعَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الحَجّ: ١٧]، وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ.(١)

﴿كَانَ مِيقَٰتٗا﴾: وَقْتًا لِمَا وَعَدَ اللهُ.

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: حَدًّا تُوقَتُ بِهِ الدُّنْيَا وَتَنْتَهِي عِنْدَهُ، أَوْ حَدًّا لِلْخَلَائِقِ يَنْتَهُونَ إِلَيْهِ.(٢)

﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾

وَالصُّورُ: هُوَ البُوقُ، وَصَاحِبُهُ: هُوَ إِسْرَافِيلُ، وَلَمْ يَصِحَّ فِي تَعْيِينِهِ حَدِيثٌ، وَلَكِنَّهُ إِجْمَاعٌ نَقَلَهُ الحَلِيمِيُّ.(٣)

---

(١) «المُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ القُرْآنِ» (ص٦٣٨).

(٢) «تَفْسِيرُ الزَّمَخْشَرِيِّ» (٤/ ٦٨٧).

(٣) «فتح الباري لابن حجر» (١١/ ٣٦٨).

۞ **وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ قَالَ:** سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الصُّورِ، فَقَالَ: «قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ.[١]

۞ **وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ:** قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدِ التَقَمَ صَاحِبُ القَرْنِ القَرْنَ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ وَأَصْغَى سَمْعَهُ، يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ أَنْ يَنْفُخَ فَيَنْفُخَ» قَالَ المُسْلِمُونَ: فَكَيْفَ نَقُولُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «قُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، تَوَكَّلْنَا عَلَى اللهِ رَبِّنَا» وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ: عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا. حَدِيثٌ حَسَنٌ[٢]

۞ **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:** قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ». قَالُوا: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: «أَبَيْتُ». قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: «أَبَيْتُ». قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: «أَبَيْتُ». قَالَ: «ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ البَقْلُ، لَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شيءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يومَ الْقِيَامَةِ».[٣]

۞ **وقَالَ سَيِّدُ قُطْب:** لَيْسَ لَنَا أَنْ نَشْغَلَ أَنْفُسَنَا بِكَيْفِيَّةِ ذَلِكَ؛ فَهِيَ لَا تَزِيدُنَا إِيمَانًا، وَقَد صَانَ اللهُ طَاقَتَنَا عَنْ أَنْ تَتَبَدَّدَ فِي البَحْثِ وَرَاءَ هَذَا الغَيْبِ المَكْنُونِ، وَأَعْطَانَا مِنْهُ القَدْرَ الَّذِي يَنْفَعُنَا فَلَا نَزِيد[٤]، وَرَحِمَ اللهُ الشَّافِعِيَّ

(١) «سنن الترمذي ت بشار» (٤/ ١٩٨).

(٢) (سُنَنُ التِّرمِذِيِّ، رَقْمُ: ٣٢٤٣).

(٣) (رَوَاهُ البُخَارِيِّ: ٤٩٣٥).

(٤) (فِي ظِلَالِ القُرْآنِ، ٦/ ٧٨٢).

حِينَ قَالَ: كَمَا أَنَّ لِلْعَيْنِ حُدُودٌ، فَلِلْعَقْلِ حُدُودٌ.(١)

فَائِدَةٌ:

وَلِلصُّورِ اسْمٌ آخَرُ، وَهُوَ النَّاقُورُ.

قَالَ الرَّاغِبُ: النَّاقُورُ: الصُّورُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾.(٢)

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾: لِلبَعْثِ، ﴿فَتَأْتُونَ﴾: لِلعَرضِ ﴿أَفْوَاجًا﴾: أُمَمًا، كُلُّ أُمَّةٍ تَأْتِي وَمَعَهَا رَسُولُهَا، كَقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإِسْرَاءِ:٣١] ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾: فَوْجًا يَلِي فَوْجًا، قَالَ الزَّجَّاجُ: تَأْتِي كُلُّ أُمَّةٍ مَعَ إِمَامِهِمْ.(٣)

﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ قَالَ الفَرَّاءُ: هَذِهِ الآيَةُ مِثْلُ ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانْشِقَاقِ:١]، ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ [المُرْسَلَاتِ :٩]».(٤)

وَهِيَ أَيْضًا كَقَوْلِ رَبِّنَا: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ [الانْفِطَارِ:١]، ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ﴾: لِتَنْزِلَ المَلَائِكَةُ ﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾.

---

(١) (مَنَاقِبُ الشَّافِعِيِّ لِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ).

(٢) «المُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ القُرْآنِ» (ص٨١٦).

(٣) «مَعَانِي القُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ» (٥/ ٢٧٢).

(٤) «مَعَانِي القُرْآنِ لِلْفَرَّاءِ» (٣/ ٢٢٧).

﴿وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا﴾

﴿وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا﴾ هِيَ كَقَولِ رَبِّنَا: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفًا﴾ [طه:١٠٥]، ﴿سَرَابًا﴾ أَيْ: لَا شَيْءَ، كَمَا أَنَّ السَّرَابَ كَذَلِكَ، أَنْتَ تَنْظُرُ إِلَى السَّرَابِ مِنْ بَعِيدٍ فَتَظُنُّهُ شَيْئًا، وَهُوَ لَيْسَ بِشَيْءٍ، كَذَلِكَ الجِبَالُ تُزَالُ عَنْ أَمَاكِنِهَا فَتَكُونُ كَالسَّرَابِ.

وَفِي الآيَةِ تَشْبِيهٌ بَلِيغٌ، وَالجَامِعُ أَنَّ كَلًّا مِنْهُمَا يُرَى عَلَى شَكْلِ شَيْءٍ، وَلَيْسَ بِهِ. فَالسَّرَابُ يُرَى كَأَنَّهُ بَحْرٌ وَلَيْسَ كَذَلِكَ. وَالجِبَالُ إِذَا فُتِّتَتْ وَارْتَفَعَتْ فِي الهَوَاءِ، تُرَى كَأَنَّهَا جِبَالٌ وَلَيْسَتْ بِجِبَالٍ؛ بَلْ غُبَارٌ غَلِيظٌ مُتَرَاكِمٌ، يُرَى مِنْ بَعِيدٍ كَأَنَّهُ جَبَلٌ[١].

۞ **وقَالَ مُقَاتِلٌ**: تَصِيرُ الجِبَالُ أَوَّلَ مَرَّةٍ كَالْمُهْلِ، ثُمَّ تَصِيرُ الثَّانِيَةَ كَالعِهْنِ المَنْفُوشِ، ثُمَّ تَذْهَبُ فَتَصِيرُ لَا شَيْءَ، فَتَرَاهَا تَحْسَبُهَا جِبَالًا، فَإِذَا مَسَسْتَهَا، لَمْ تَجِدْهَا شَيْئًا.[٢]

* **وَجَاءَ فِي مَفَاتِيحِ الغَيْبِ**: اعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى ذَكَرَ فِي مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ أَحْوَالَ هَذِهِ الْجِبَالِ عَلَى وُجُوهٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَيُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَهَا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي نَقُولُهُ:

١- وَهُوَ أَنَّ أَوَّلَ أَحْوَالِهَا: الِانْدِكَاكُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ

---

(١) «تَفْسِيرُ القَاسِمِيِّ، مَحَاسِنُ التَّأْوِيلِ» (٩/ ٣٩٠).

(٢) «تَفْسِيرُ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ» (٤/ ٥٦٢).

﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحَاقَّة: ١٤].

٢- أَنْ تَصِيرَ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ [القَارِعَة: ٤، ٥]، ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ [المَعَارِج: ٨، ٩]

٣- أَنْ تَصِيرَ كَالْهَبَاءِ، وَذَلِكَ أَنْ تَتَقَطَّعَ وَتَتَبَدَّدَ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ كَالْعِهْنِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾ [الوَاقِعَة: ٤- ٦] .

٤- أَنْ تُنْسَفَ؛ لِأَنَّهَا مَعَ الْأَحْوَالِ الْمُتَقَدِّمَةِ قَارَّةٌ فِي مَوَاضِعِهَا، وَالْأَرْضُ تَحْتَهَا غَيْرُ بَارِزَةٍ، فَتُنْسَفُ عَنْهَا بِإِرْسَالِ الرِّيَاحِ عَلَيْهَا، وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ [طه: ١٠٥].

٥- أَنَّ الرِّيَاحَ تَرْفَعُهَا عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ، فَتُطَيِّرُهَا شُعَاعًا فِي الْهَوَاءِ كَأَنَّهَا غُبَارٌ، فَمَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا مِنْ بُعْدٍ حَسِبَهَا لِتَكَاثُفِهَا أَجْسَامًا جَامِدَةً، وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ مَارَّةٌ، إِلَّا أَنَّ مُرُورَهَا بِسَبَبِ مُرُورِ الرِّيَاحِ بِهَا صَيَّرَهَا مُنْدَكَّةً مُتَفَتِّتَةً، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النَّحل: ٨٨]، ثُمَّ بَيَّنَ أَنَّ تِلْكَ الْحَرَكَةَ حَصَلَتْ بِقَهْرِهِ وَتَسْخِيرِهِ، فَقَالَ: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكَهْف: ٤٧].

٦- أَنْ تَصِيرَ سَرَابًا، بِمَعْنَى: لَا شَيْءَ، فَمَنْ نَظَرَ إِلَى مَوَاضِعِهَا لَمْ يَجِدْ فِيهَا شَيْئًا، كَمَا أَنَّ مَنْ يَرَى السَّرَابَ مِنْ بُعْدٍ، إِذَا جَاءَ الْمَوْضِعَ الَّذِي كَانَ

يَـرَاهُ فِيـهِ، لَمْ يَجِـدْهُ شَـيْئًا وَاللهُ أَعْلَـمُ.[١]

❁ **قُلْـتُ:** مـاَ أَجْمَلَـهُ مِـنْ تَرْتِيـبٍ عَقْـلِيٍّ، وَلَكِـنْ لَا يُجْـزَمُ بِـهِ؛ لِعَـدَمِ وُرُودِ حَدِيـثٍ مَرْفُـوعٍ عَـنِ المَعْصُـومِ ﷺ خُصُوصًـا وَأَنَّ أَحْـوَالَ الآخِـرَةِ لَا تُقَـاسُ عَـلَى أَحْـوَالِ الدُّنْيَـا.

❁ **قَـالَ مُقَاتِـلٌ:** «وَسُـيِّرَتِ الجِبَـالُ» يَعْنِـي: انْقَطَعَـتِ الجِبَـالُ مِـنْ خَشْـيَةِ اللهِ - عَـزَّ وَجَلَّ -يَـومَ القِيَامَـةِ «فَكَانَـتْ سَرَابًـا» فَـمَا حَالُـكَ يَـا ابْـنَ آدَمَ؟!

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾

تَرْصُـدُ مَـنْ عَـصَى اللهَ[٢]؛ كَقَـولِ رَبِّنَـا: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مَرْيَـم:٧١]، فَـلَا سَـبِيلَ لِلْجَنَّـةِ حَتَّـى تَمُـرَّ عَـلَى النَّـارِ، قَالَـهُ قَتَـادَةُ.[٣]

❁ **قَـالَ الحَسَـنُ:** إِنَّ عَـلَى النَّـارِ رَصَـدًا، لَا يَدْخُـلُ أَحَـدٌ الجَنَّـةَ حَتَّـى يَجْتَـازَ عَلَيْـهِ، فَمَـنْ جَـاءَ بِجَـوَازٍ جَـازَ، وَمَـنْ لَمْ يَجِـئْ بِجَـوَازٍ حُبِـسَ.[٤]

❁ **وقـال:** « تَرْصُـدُهُـمْ وَاللهِ»،قَـالَ: وَبَيْنَـمَا رَجُـلٌ يَمُـرُّ إِذَا اسْـتَقْبَلَهُ آخَـرُ قَـالَ: أُبْلِغْـكَ أَنَّ بِالطَّرِيـقِ رَصَـدًا، قَـالَ: فَخُـذْ حَـذَرَكَ إِذًا.[٥]

---

(١) «تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ، مَفَاتِيحُ الغَيْبِ أَوِ التَّفْسِيرُ الكَبِيرُ» (٣١/ ١٣).

(٢) «الهِدَايَةُ إِلَى بُلُوغِ النِّهَايَةِ» (١٢/ ٧٩٩٤).

(٣) (الطَّبَرِيُّ ٢٠/ ٢١).

(٤) (الطَّبَرِيُّ ٢٤/ ٢٠).

(٥) (مُصَنَّفُ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ ١٩/ ٣٨٧) (مَوْسُوعَةُ التَّفْسِيرِ بِالمَأْثُورِ).

﴿ وقَالَ الطَّبَرِيُّ: يَعْنِي تَعَالَى ذِكْرُهُ بِقَوْلِهِ: إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ ذَاتَ رَصْدٍ لِأَهْلِهَا، الَّذِينَ كَانُوا يُكَذِّبُونَ بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَبِالْمعَادِ فِي الْآخِرَةِ، وَبِغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُصَدِّقِينَ بِهَا، وَمَعْنَى الْكَلَامِ: إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ ذَاتَ ارْتِقَابٍ، تَرْقُبُ مَنْ يَجْتَازُهَا وَتَرْصُدُهُمْ.(١)

وَالرَّصْدُ فِي وَاقِعِنَا الْمُعَاصِرِ أَشْبَهُ مَا يَكُونُ بِنِقَاطِ التَّفْتِيشِ.

والرَّصْدُ: كُلُّ شَيْءٍ كَانَ أَمَامَكَ.

﴿ وَقَالَ الْكِسَائِيُّ والْأَصْمَعِيُّ: رَصَدْتُهُ أَرْصُدُهُ، أَيْ تَرَقَّبْتُهُ.(٢)

﴿ وقَالَ الزَّجَّاجُ: تَرْصُدُ أَهْلَ الْكُفْرِ وَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ، تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ، فَلَا يُجَاوِزُهَا مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ.(٣)

﴿ وقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: الْمِرْصَادُ: الطَّرِيقُ، وَذَكَرَ الْقُشَيْرِيُّ أَنَّ الْمِرْصَادَ: الْمكَانُ الَّذِي يَرْصُدُ فِيهِ الْوَاحِدُ الْعَدُوَّ، وَفِي الصِّحَاحِ: الرَّاصِدُ الشَّيْءَ: الرَّاقِبُ لَهُ، فَجَهَنَّمُ مُعَدَّةٌ مُتَرَصِّدَةٌ، مُتَفَعِّلٌ مِنَ الرَّصْدِ وَهُوَ التَّرَقُّبُ، أَيْ: هِيَ مُتَطَلِّعَةٌ لِمَنْ يَأْتِي.(٤)

---

(١) (الطَّبَرِيُّ ٢٤/ ٢٠).

(٢) «مَقَايِيسُ اللُّغَةِ» (٢/ ٤٠٠) (الْقُرْطُبِيُّ ٢٢/ ١٥).

(٣) «مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ لِلزَّجَّاجِ» (٥/ ٢٧٣).

(٤) «تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ» (١٩/ ١٧٧).

مَا هُوَ هَذَا الرَّصْدُ؟

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ سَبْعَةَ مَجَالِس؛ يُسْأَلُ عِنْدَ أَوَّلِهَا عَنْ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِنْ جَاءَ بِهَا تَامَّةً، جَازَ إِلَى الثَّانِي، فَيُسْأَلُ عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنْ جَاءَ بِهَا تَامَّةً، جَازَ إِلَى الثَّالِثِ، فَيُسْأَلُ عَنِ الزَّكَاةِ، فَإِنْ جَاءَ بِهَا تَامَّةً، جَازَ إِلَى الرَّابِعِ، فَيُسْأَلُ عَنِ الصَّوْمِ، فَإِنْ جَاءَ بِهِ تَامًّا، جَازَ إِلَى الخَامِسِ، فَيُسْأَلُ عَنِ الحَجِّ، فَإِنْ جَاءَ بِهِ تَامًّا، جَازَ إِلَى السَّادِسِ، فَيُسْأَلُ عَنِ العُمْرَةِ، فَإِنْ جَاءَ بِهَا تَامَّةً، جَازَ إِلَى السَّابِعِ، فَيُسْأَلُ عَنِ المَظَالِمِ، فَإِنْ خَرَجَ مِنْهَا وَإِلَّا قِيلَ: انْظُرُوا فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ، تُكَمَّلُ بِهِ أَعْمَالُهُ. فَإِذَا فَرَغَ، انْطُلِقَ بِهِ إِلَى الجَنَّةِ.(١)

وإِذَا فَسَّرْنَا الْمِرْصَادَ بِالْمُرْتَقِبِ، أَفَادَ ذَلِكَ أَنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ كَالْمُنْتَظِرَةِ لِقُدُومِهِمْ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ، وَكَالْمُسْتَدْعِيَةِ وَالطَّالِبَةِ لَهُمْ.(٢)

۞ **قَالَ البِقَاعِيُّ**: أَيْ: مَوْضِعُ رَصْدٍ لِأَعْدَاءِ اللهِ، تَرْصُدُهُمْ فِيهَا خَزَنَةُ النَّارِ، فَإِذَا رَأَوْهُمْ كَرْدَسُوهُمْ فِيهَا، وَلِأَوْلِيَاءِ اللهِ تَرْصُدُهُمْ فِيهَا خَزَنَةُ الجَنَّةِ؛ لِإِنْجَائِهِمْ مِنَ النَّارِ عِنْدَ وُرُودِهَا.(٣)

وَلَمَّا كَانَ دَرْءُ المَفَاسِدِ أَوْلَى مِنْ جَلْبِ المَصَالِحِ، قَدَّمَ ذِكْرَ الْمُخَوِّفِ، فَقَالَ(٤):

(١) (تَفْسِيرُ البَغَوِيِّ) «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/ ٢٠٤).

(٢) «تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ، مَفَاتِيحُ الغَيْبِ أَوِ التَّفْسِيرُ الكَبِيرُ» (٣١/ ١٤).

(٣) «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/ ٢٠٣).

(٤) «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/ ٢٠٤).

﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا﴾

الطُّغْيَانُ: هُوَ مُجَاوَزَةُ الحَدِّ؛ ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ﴾ [الحاقة:١١]، ﴿لِّلطَّٰغِينَ﴾ هُنَا بِمَعنَى: لِلْكَافِرِينَ، مَنْ تَجَاوَزُوا حَدَّهُمْ مَعَ اللهِ ﷻ، ﴿مَـَٔابٗا﴾ يَعْنِي: مَرْجِعًا يَعُودُونَ إِلَيْهِ وَيَؤُوبُونَ إِلَيْهِ.

فَاحْذَرُوا الطُّغْيَانَ؛ فَإِنَّهُ يُورِدُ أَهْلَهُ النَّارَ.

وَالطُّغْيَانُ: هُوَ تَجَاوُزُ الحَدِّ فِي العِصْيَانِ.

وَالطَّغْوَى: الِاسْمُ مِنْهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ﴾.(١)

﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا﴾

الحِقْبُ والحُقْبُ: المُدَّةُ الزَّمَنِيَّةُ الطَّوِيلَةُ، وكَانَ هَذَا أَبعَدَ شَيْءٍ عِنْدَ العَرَبِ، كَانُوا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يُطِيلُوا المُدَّةَ قَالُوا: حِقْبٌ أَوْ حُقْبٌ.

قَالَ الرَّاغِبُ: وَالصَّحِيحُ أَنَّ الحِقْبَةَ مُدَّةٌ مِنَ الزَّمَانِ مُبْهَمَةٌ(٢).

عَنِ الْحَسَنِ، فِي قَوْلِهِ: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا﴾ قَالَ: أَمَّا الْأَحْقَابُ، فَلَا يَدْرِي أَحَدٌ مَا هِيَ، وَأَمَّا الْحُقْبُ الْوَاحِدُ: فَسَبْعُونَ أَلْفَ سَنَةٍ، كُلُّ يَوْمٍ كَأَلْفِ سَنَةٍ.(٣)

(١) انْظُرْ: (مَقَايِيس اللُّغَةِ وَمَعَانِي الْمُفْرَدَاتِ لِلرَّاغِبِ).
(٢) «الْمُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ» (ص٢٤٨).
(٣) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، جَامِعُ الْبَيَانِ ط هَجَر» (٢٤/ ٢٥).

📖 وَاخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ:

📖 الْقَوْلُ الْأَوَّلُ: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا﴾ تَعْنِي: خَالِدِينَ فِيهَا.

✧ قَالَ قَتَادَةُ: قَالَ اللهُ: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا﴾ وَهُوَ مَا لَا انْقِطَاعَ لَهُ، كُلَّمَا مَضَى حُقْبٌ جَاءَ حُقْبٌ بَعْدَهُ، وَذُكِرَ لَنَا أَنَّ الْحُقْبَ ثَمَانُونَ سَنَةً.(١) وَبِمَعْنَاهُ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ.

✧ وقَالَ الزَّجَّاجُ: وَالمَعْنَى: أَنَّهُمْ يَلْبَثُونَ أَحْقَابًا، لَا يَذُوقُونَ فِي الأَحْقَابِ بَرْدًا وَلَا شَرَابًا، وَهُمْ خَالِدُونَ فِي النَّارِ أَبَدًا، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ﴾.(٢)

✧ وقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: وَلَا يُقَالُ «لَبِثَ» إِلَّا لِمَنْ شَأْنُهُ اللُّبْثُ، كَالَّذِي يَجْثُمُ بِالْمَكَانِ لَا يَكَادُ يَنْفَكُّ عَنْهُ أَحْقَابًا؛ حِقْبًا بَعْدَ حِقْبٍ، كُلَّمَا مَضَى حِقْبٌ تَبِعَهُ آخَرُ إِلَى غَيْرِ نِهَايَةٍ، وَلَا يَكَادُ يُسْتَعْمَلُ «الحِقْبُ وَالحِقْبَةُ» إِلَّا حَيْثُ يُرَادُ تَتَابُعُ الأَزْمِنَةِ وَتَوَالِيهَا، وَالاشْتِقَاقُ يَشْهَدُ لِذَلِكَ.(٣)

✧ وقَالَ القُرْطُبِيُّ: وَذَكَرَ الْأَحْقَابَ؛ لِأَنَّ الحِقْبَ كَانَ أَبْعَدَ شَيْءٍ عِنْدَهُمْ، فَتَكَلَّمَ بِمَا تَذْهَبُ إِلَيْهِ أَوْهَامُهُمْ وَيَعْرِفُونَهَا، وَهِيَ كِنَايَةٌ عَنِ التَّأْبِيدِ، أَيْ: يَمْكُثُونَ فِيهَا أَبَدًا.(٤)

(١) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (٢٤/ ٢٥).
(٢) «مَعَانِي القُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ لِلزَّجَّاجِ» (٥/ ٢٧٣).
(٣) «تَفْسِيرُ الزَّمَخْشَرِيِّ، الكَشَّافُ عَنْ حَقَائِقِ غَوَامِضِ التَّنْزِيلِ» (٤/ ٦٦٨).
(٤) «تَفْسِيرُ القُرْطُبِيِّ» (١٩/ ١٧٨).

وَقِيلَ: الأَحْقَابُ: وَقْتٌ لِشَرَابِهِمُ الحَمِيمَ وَالغَسَّاقَ، فَإِذَا انقَضَتْ فَيَكُونُ لَهُمْ نَوعٌ آخَرُ مِنَ العَذَابِ.

أَدِلَّةُ خُلُودِ الكُفَّارِ فِي النَّارِ:

- قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن:٢٣].

- وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧]

- وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النِّسَاء:].

القَوْلُ الثَّانِي:

﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾: مِن نَوعٍ مَعَيَّنٍ مِنْ أَلْوَانِ العَذَابِ، فَإِذَا انتَهَى هَذَا الحِقْبُ، دَخَلُوا فِي حِقْبٍ آخَرَ؛ فَالجَسَدُ قَدْ يَتَعَوَّدُ عَلَى نَوعِ العَذَابِ فَلَا يُؤَثِّرُ فِيهِ، فَلِذَلِكَ يُنَوِّعُ عَذَابَهُمْ، وَهَذَا القَوْلُ يَشْتَرِكُ مَعَ الَّذِي قَبْلَهُ فِي القَوْلِ بِخُلُودِهِمْ فِي النَّارِ.

وقَالَ الطَّبَرِيُّ: قَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى ذَلِكَ: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ فِي هَذَا النَّوعِ مِنَ الْعَذَابِ، هُوَ أَنَّهُمْ: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾﴾، فَإِذَا انْقَضَتْ تِلْكَ الْأَحْقَابُ، صَارَ لَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ أَنْوَاعٌ غَيْرُ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ

يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴾،
وَهَذَا الْقَوْلُ عِنْدِي أَشْبَهُ بِمَعْنَى الْآيَةِ.(١)

القَوْلُ الثَّالِثُ:

قَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ وَبَعْضُ العُلَمَاءِ: «هَذِهِ الآيَةُ مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِ رَبِّنَا: ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النَّبَأ: ٣٠] نَقَلَ هَذَا البَغَوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ، وَاعْتَرَضَ الطَّبَرِيُّ وَالقُرْطُبِيُّ عَلَى هَذَا القَوْلِ وَقَالَا: «إِنَّ هَذَا مِن بَابِ الأَخْبَارِ، وَالأَخْبَارُ لَا يَدخُلُهَا نَسْخٌ».

قَالَ الطَّبَرِيُّ: عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ، قَالَ: مَنْسُوخَةٌ، نَسَخَتْهَا: ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾، وَلَا مَعْنَى لِهَذَا الْقَوْلِ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ خَبَرٌ، وَالْأَخْبَارُ لَا يَكُونُ فِيهَا نَسْخٌ، وَإِنَّمَا النَّسْخُ يَكُونُ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ(٢) ا.هـ

والنَّسْخُ: عَرَّفَهُ ابْنُ الحَاجِبِ بِقَولِهِ: «رَفْعُ الخِطَابِ الشَّرعِيِّ المُتَقَدِّمِ بِخِطَابٍ شَرْعِيٍّ مُتَأَخِّرٍ»؛ لَكِنْ عِنْدَ السَّلَفِ كَانَ التَّخْصِيصُ يُعَبَّرُ عَنْهُ بِالنَّسْخِ، وَلَو حَمَلْنَا قَولَ مُقَاتِلٍ عَلَى أَنَّ قَولَهُ تَعَالَى: ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ خَصَّصَ: ﴿لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾، لَكَانَ لَهُ وَجْهٌ.(٣)

(١) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (٢٤/ ٢٧).
(٢) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (٢٤/ ٢٧).
(٣) راجع «تَفْسِيرُ القُرْطُبِيِّ» (١٩/ ١٧٩).

القَوْلُ الرَّابِعُ: هَذِهِ الآيَةُ فِي أَهْلِ التَّوْحِيدِ.

عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، فِي قَوْلِهِ: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هُود: ١٠٧] إِنَّهُمَا فِي أَهْلِ التَّوْحِيدِ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ.(١)

وَمَعْنَى هَذَا القَوْلِ أَنَّ أَهْلَ التَّوْحِيدِ، يَلْبَثُونَ فِي النَّارِ أَحْقَابًا عَلَى قَدْرِ ذُنُوبِهِمْ ثُمَّ يَخْرُجُونَ، وَلَكِنَّ السِّيَاقَ لَا يُسَاعِدُ عَلَى هَذَا الْـمعْنَى؛ لِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ فَأَفَادَتِ الْآيَةُ كُفْرَهُمْ.

وَنَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُولَ: أَهْلُ النَّارِ مِنَ الكُفَّارِ مُقِيمُونَ فِيهَا أَبَدًا، وَيُنَوَّعُ لَهُمُ العَذَابُ.

وَلَمَّا كَانَ المَسْكَنُ لَا يَصْلُحُ إِلَّا بِالِاعْتِدَالِ وَالمَاءِ الَّذِي هُوَ حَيَاةُ كُلِّ شَيْءٍ، قَالَ ذَاكِرًا حَالَ هَذَا اللُّبْثِ.(٢)

﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾

قَالَ الطَّبَرِيُّ: لَا يَطْعَمُونَ فِيهَا بَرْدًا يُبَرِّدُ حَرَّ السَّعِيرِ عَنْهُمْ، إِلَّا الْغَسَّاقَ، وَلَا شَرَابًا يَرْوِيهِمْ مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ الَّذِي بِهِمْ، إِلَّا الْحَمِيمَ.(٣)

﴿لَّا يَذُوقُونَ﴾ فَكَيْفَ بِمَا فَوْقَ التَّذَوُّقِ.(٤)

(١) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (الطَّبَرِيُّ ٢٤/ ٢٤).
(٢) «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/ ٢٠٥).
(٣) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (الطَّبَرِيُّ ٢٤/ ٢٧).
(٤) «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/ ٢٠٥)

📖 **المَقْصُودُ بِالبَرْدِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:**

* **أَحَدُهَا:** أَنَّهُ بَرْدُ الشَّرَابِ.

❁ **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:** لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَردَ الشَّرَابِ، وَلَا الشَّرَابَ[١].

* **وَالثَّانِي:** أَنَّهُ الرَّوْحُ وَالرَّاحَةُ، قَالَهُ الحَسَنُ، وَعَطَاءٌ.

* **وَالثَّالِثُ:** أَنَّهُ النَّوْمُ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَالسُّدِّيُّ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ، وَابْنُ قُتَيْبَةَ[٢].

وَالبَرْدُ -بِمَعنَى النَّوْمِ- مَعْرُوفٌ فِي لِسَانِ العَرَبِ، يَقُولُونَ: «أَذْهَبَ البَرْدُ البَرْدَ» يَعْنِي: أَذْهَبَ البَرْدُ النَّوْمَ؛ لَكِنَّ الكَلَامَ يُحْمَلُ عَلَى المَعْنَى الأَعَمِّ الأَغْلَبِ فِي لِسَانِ العَرَبِ، فَتُحْمَلُ هُنَا ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ عَلَى مَعْنَى: طَعَامًا بَارِدًا.

❁ **وَقَالَ مُقَاتِلٌ:** لَا يَذُوقُونَ فِي جَهَنَّمَ بَرْدًا يَنْفَعُهُمْ مِنْ حَرِّهَا، وَلَا شَرَابًا يَنْفَعُهُمْ مِنْ عَطَشِهَا.[٣]

﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾

الْحَمِيمُ: هُوَ الْمَاءُ الْحَارُّ، وَمِنْهُ الحُمَى، وَمِنْهُ اشْتُقَّ الحَمَّامُ، وَمِنْهُ اليَحْمُومُ[٤].

وَالغَسَّاقُ: هُوَ البَارِدُ، فَيُنَوَّعُ لَهُمُ الْعَذَابُ بَيْنَ الْمَاءِ شَدِيدِ الْحَرَارَةِ،

---

(١) «مَعَانِي القُرْآنِ لِلْفَرَّاءِ» (٣/ ٢٢٨).

(٢) «زَادُ المَسِيرِ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ» (٤/ ٣٩٠).

(٣) (الْبَسِيطُ ٢٣ / ١٢٣).

(٤) «الهِدَايَةُ إِلَى بُلُوغِ النِّهَايَةِ» (١٢/ ٨٠٠١).

وَالْـماءِ شَـدِيدِ الْـبُرُودَةِ.

۞ **قَالَ الطَّبَرِيُّ:** يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا﴾ قَدْ أُغْلِيَ حَتَّى انْتَهَى حَرُّهُ، فَهُوَ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ، وَلَا بَرْدَ إِلَّا غَسَّاقًا.(١)

آيَاتٌ لَهَا نَفْسُ المَعْنَى:

- قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾.

- وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾.

- وَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾

فَبُخَارُ المَاءِ يَشْوِي الوُجُوهَ، وَبَعْدَ الشُّرْبِ، يُقَطِّعُ المَاءُ أَمْعَائَهُمْ، فَجَمَعَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَذَابَ ظَاهِرِ الجَسَدِ وَبَاطِنِهِ.

قَاعِدَةٌ مُهِمَّةٌ فِي التَّفْسِيرِ:

۞ **قَالَ الطَّبَرِيُّ:** وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ أَنَّ الْبَرْدَ فِي هَذَا الْموْضِعِ: النَّوْمُ، وَأَنَّ مَعْنَى الْكَلَامِ: لَا يَذُوقُونَ فِيهَا نَوْمًا وَلَا شَرَابًا، وَاسْتَشْهَدَ لِهَذَا بِقَوْلِ الْكِنْدِيِّ:

بَرَدَتْ مَرَاشِفُهَا عَلَيَّ فَصَدَّنِي ... عَنْهَا وَعَنْ قُبُلَاتِهَا الْبَرْدُ

---

(١) (الطَّبَرِيُّ ٢٤/ ٢٨).

يَعْنِي بِالْبَرْدِ: النُّعَاسَ، وَالنَّوْمُ إِنْ كَانَ يُبْرِدُ غَلِيلَ الْعَطَشِ، فَقِيلَ لَهُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الْبَرْدَ؛ فَلَيْسَ هُوَ بِاسْمِهِ الْمَعْرُوفِ، وَتَأْوِيلُ كِتَابِ اللهِ عَلَى الْأَغْلَبِ مِنْ مَعْرُوفِ كَلَامِ الْعَرَبِ دُونَ غَيْرِهِ.(١)

وَقَالَ: تَوْجِيهُ كَلَامِ اللهِ إِلَى الْأَفْصَحِ الْأَشْهَرِ مِنْ كَلَامِ مَنْ نَزَلَ بِلِسَانِهِ كِتَابُهُ أَوْلَى بِنَا مِنْ تَوْجِيهِهِ إِلَى الْأَنْكَرِ مِنْ كَلَامِهِمْ(٢).

.فالأَصْلُ فِي الكَلَامِ أَوَّلُ مَعْنًى يَتَبَادَرُ لِلذِّهْنِ عِنْدَ العَرَبِ، وَلَا يُحْمَلُ اللَّفْظُ عَلَى غَيْرِ ظَاهِرِهِ إِلَّا لِقَرِينَةٍ.

وَفِي الغَسَّاقِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

*أَحَدُهَا: أَنَّهُ الزَّمْهَرِيرُ الْبَارِدُ، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الغَسَّاقُ: لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَذُوقُوهُ مِنْ بَرْدِهِ.(٣)

* وَالثَّانِي: أَنَّهُ مَا يَجْرِي مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ، قَالَهُ إِبْرَاهِيمُ.(٤)

قَالَ الزَّجَّاجُ: وَالغَسَّاقُ: قِيلَ فِيهِ: مَا يَغْسِقُ مِنْ جُلُودِهِمْ، أَيْ: يَسِيلُ.(٥)

* وَالثَّالِثُ: أَنَّ الغَسَّاقَ: عَيْنٌ فِي جَهَنَّمَ تَسِيلُ إِلَيْهَا حُمَةُ كُلِّ ذَاتِ حُمَّةٍ

(١) (الطَّبَرِيُّ ٢٤/ ٢٧).

(٢) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (٧/ ٢٧).

(٣) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (٢٤ / ٣٠).

(٤) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (٢٤/ ٢٩).

(٥) «مَعَانِي القُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ لِلزَّجَّاجِ» (٥/ ٢٧٤).

مِـنْ حَيَّـةٍ أَوْ عَقْـرَبٍ أَوْ غَيْرِهَـا، فَتُسْـتَنْقَعُ، فَيُؤْتَـى بِالْآدَمِـيِّ فَيُغْمَـسُ فِيهَـا غَمْسَـةً، فَيَخْـرُجُ وَقَـدْ سَـقَطَ جِلْـدُهُ وَلَحْمُـهُ عَـنِ الْعِظَـامِ، وَيَجُـرُّ لَحْمَـهُ جَـرَّ الرَّجُـلِ ثَوْبَـهُ، قَالَـهُ كَعْـبٌ.(١)

* **وَالرَّابِعُ:** أَنَّه مَا يَسِيلُ مِنْ دُمُوعِهِمْ، قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ.(٢)

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: الغَسَّـاقُ: مَا سَـالَ، يُقَالُ: غَسَـقَتِ الْعَيْنُ وَغَسَـقَ الْجُرْحُ، وَقَـرَأْتُ عَـلَى شَـيْخِنَا أَبِي مَنْصُـورٍ اللُّغَـوِيِّ عَـنِ ابْنِ قُتَيْبَـةَ قَـالَ: لَمْ يَكُنْ أَبُـو عُبَيْدَةَ يَذْهَـبُ إِلَى أَنَّ فِي الْقُـرْآنِ شَـيْئًا مِـنْ غَـيْرِ لُغَـةِ الْعَـرَبِ، وَكَانَ يَقُولُ: هُوَ اتِّفَـاقٌ يَقَعُ بَـيْنَ اللُّغَتَـيْنِ، وَكَانَ غَـيْرُهُ يَزْعُمُ أَنَّ الغَسَّـاقَ: الْبَارِدُ الْمُنْتِنُ بِلِسَـانِ الـتُّرْكِ، وَقِيلَ فِي مَعْنَـاهُ: إِنَّـهُ الشَّـدِيدُ الـبَرْدِ، يُحْـرِقُ مِنْ بَـرْدِهِ. وَقِيلَ: هُـوَ مَا يَسِـيلُ مِنْ جُلُـودِ أَهْلِ النَّارِ مِـنَ الصَّدِيدِ.

وَقَـالَ الطَّـبَرِيُّ: هُـوَ السَّـائِلُ مِـنَ الزَّمْهَرِيـرِ فِي جَهَنَّـمَ، الْجَامِـعُ مَعَ شِـدَّةِ بَـرْدِهِ النَّتَنَ.

وَعَـنْ أَبِي سَـعِيدٍ الْخُـدْرِيِّ، عَـنِ النَّبِـيِّ ﷺ، قَـالَ: «لَـوْ أَنَّ دَلْـوًا مِـنْ غَسَّـاقٍ يُهْـرَاقُ إِلَى الدُّنْيَـا لَأَنْتَـنَ أَهْـلَ الدُّنْيَـا»(٣)، وَالْحَدِيـثُ مُخْتَلَـفٌ فِي تَصْحِيحِهِ وَتَضْعِيفِـهِ، وَهَـذَا يُقَـوِّي الطَّـبَرِيّ؛ لِأَنَّهُـمْ كَانُـوا يَأْخُـذُونَ أَمْـوَالَ النَّـاسِ

(١) «الهِدَايَةُ إِلَى بُلُوغِ النِّهَايَةِ» (١٠/ ٦٢٧٦)، «زَادُ المَسِيرِ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ» (٣/ ٥٨٠).
(٢) (الطَّبَرِيُّ ٢٤ / ٣٠).
(٣) «سُـنَنُ التِّرْمِـذِيِّ ت بَشَّـار» (٤/ ٢٨٧) وَقَـالَ التِّرْمِـذِيُّ: هَـذَا حَدِيـثٌ إِنَّمَا نَعْرِفُـهُ مِـنْ حَدِيـثِ رِشْـدِينَ بْـنِ سَـعْدٍ، وَفِي رِشْـدِينَ مَقَـالٌ، وَقَـدْ تُكُلِّـمَ فِيـهِ مِـنْ قِبَـلِ حِفْظِـهِ.

فَيَحْرِقُونَ صُدُورَهُمْ عَلَيْهَا وَيُبَرِّدُونَ بِهَا الشَّرَابَ وَيُصَفُّونَهُ وَيُبَخِّرُونَهُ، فَهُمْ يُحَرِّقُونَ الآنَ بِعُصَارَةِ غَيْرِهِمُ المُنْتِنَةِ.(١)

وَكُلُّ هَذِهِ الأَقْوَالِ مُحْتَمَلَةٌ؛ فَالغَسَّاقُ البَارِدُ المُنْتِنُ: الَّذِي يَسِيلُ مِنْ جُلُودِ أَهْلِ النَّارِ وَدُمُوعِهِمْ.

﴿ جَزَآءً وِفَاقًا ﴾

جَزَاءً يُوَافِقُ أَعْمَالَهُمْ، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [الشُّورَى: ٤٠]

قَالَ الطَّبَرِيُّ: يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: هَذَا الْعِقَابُ الَّذِي عُوقِبَ بِهِ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ فِي الْآخِرَةِ، فَعَلَهُ بِهِمْ رَبُّهُمْ جَزَاءً، يَعْنِي: ثَوَابًا لَهُمْ عَلَى أَفْعَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمُ الرَّدِيئَةِ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: وَافَقَ هَذَا الْعِقَابُ هَذَا الْعِلْمَ وِفَاقًا.

وَقَالَ الحَسَنُ وَعِكْرِمَةُ: كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ سَيِّئَةً، فَأَتَاهُمُ اللهُ بِمَا يَسُوءُهُمْ.(٢)

﴿ جَزَآءً وِفَاقًا ﴾

قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: عَمِلُوا شَرًّا، فَجُزُوا شَرًّا، ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَ اللهِ: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ ﴾.(٣)

---

(١) «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/ ٢٠٦).

(٢) «تَفْسِيرُ القُرْطُبِيِّ» (١٩/ ١٨١).

(٣) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (٢٤/ ٣٣).

۞ وقَالَ مُقَاتِلٌ: كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ فِي الأَعْمَالِ أَخْبَثُ مِنَ الشِّرْكِ بِاللهِ -عَزَّ وَجَلَّ، وَكَذَلِكَ لَيْسَ مِنَ العَذَابِ شَيْءٌ أَخْبَثُ مِنَ النَّارِ، فَوَافَقَتِ النَّارُ الشِّرْكَ.[(١)]

وَمِنَ الرَّحْمَةِ أَنْ يَجِدَ الشَّرُّ جَزَاءَهُ، وَأَلَّا يَتَسَاوَى مَعَ الْخَيْرِ فِي مَصِيرِهِ.[(٢)]

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴾ [النَّبَأ: ٢٧]

قَوْلُهُ: ﴿ لَا يَرْجُونَ ﴾ فِيهِ وَجْهَانِ:

* أَحَدُهُمَا: لَا يَرْجُونَ ثَوَابًا وَلَا يَخَافُونَ عِقَابًا، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ.

* الثَّانِي: لَا يَخَافُونَ وَعِيدَ اللهِ بِحِسَابِهِمْ وَمُجَازَاتِهِمْ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ قَتَادَةَ[(٣)].

كَانُوا قَوْمًا لَا يُؤْمِنُونَ بِالبَعْثِ وَلَا بِالجَزَاءِ وَالعَذَابِ، حَتَّى يَخَافُوا العِقَابَ وَيَرْجُوا الثَّوَابَ.

فَإِنْ حَمَلْتَهُ عَلَى الخَوْفِ، فَهُمْ لَمْ يَخَافُوهُ؛ لِمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ، وَكَذَلِكَ إِنْ حَمَلْتَهُ عَلَى حَقِيقَةِ الرَّجَاءِ، فَهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَرْجُونَهُ؛ لِمَا كَذَّبُوا بِهِ[(٤)].

۞ قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: لَا يُؤْمِنُونَ بِالْبَعْثِ وَلَا بِالْحِسَابِ، وَكَيْفَ يَرْجُو الْحِسَابَ مَنْ لَا يُوقِنُ أَنَّهُ يَحْيَا، وَلَا يُوقِنُ بِالْبَعْثِ؛ وَقَرَأَ قَوْلَ اللهِ: ﴿ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ

(١) «تَفْسِيرُ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ» (٤/ ٥٦٣).
(٢) (فِي ظِلَالِ الْقُرْآنِ، ٦ / ٧٨٥).
(٣) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (٢٤/ ٣٤).
(٤) («تَفْسِيرُ المَاتُرِيدِيِّ، تَأْوِيلَاتُ أَهْلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٣٩٦).

ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ﴾ [المُؤْمِنُونَ: ٨٢] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [المُؤْمِنُونَ: ٨٣] وَقَرَأَ: ﴿هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ [سَبَأ: ٧] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿جَدِيدٍ﴾ [سَبَأ: ٧] فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ﴿أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢ﴾ [سَبَأ: ٨]، الرَّجُلُ مَجْنُونٌ حِينَ يُخْبِرُنَا بِهَذَا.(١)

❁ قَالَ الزَّجَّاجُ: أَيْ: لَا يُؤْمِنُونَ بِالبَعْثِ وَلَا بِأَنَّهُمْ يُحَاسَبُونَ، تَقْدِيرُ الآيَةِ: لَا يَرْجُونَ ثَوَابَ حِسَابٍ؛ فَهُنَاكَ مُضَافٌ مَحْذُوفٌ.(٢)

﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابٗا﴾

﴿لَا يَرۡجُونَ﴾ قَالَ قَتَادَةُ: بِمَعْنَى: لَا يَخَافُونَ مُحَاسَبَةً عَلَى أَعْمَالِهِمْ(٣).

﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا﴾

يَعْنِي: كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ تَكْذِيبًا.

فَالكِذَّابُ وَالتَّكْذِيبُ فِي لُغَةِ العَرَبِ وَاحِدٌ؛ وَجَائِزٌ أَنْ يُرَادَ بِالآيَاتِ آيَاتِ البَعْثِ، وَيُرَادُ بِهَا آيَاتِ الوَحْدَانِيَّةِ، وَآيَاتِ الرِّسَالَةِ، وَنَحْوَهَا(٤).

❁ فَإِنْ قُلْتَ: الْكُفَّارُ قَدْ أَتَوْا بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْقَبَائِحِ وَالْكَبَائِرِ، فَمَا

---

(١) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (٢٤/ ٣٥).
(٢) «مَعَانِي القُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ» (٥/ ٢٧٤).
(٣) (الطَّبَرِيُّ، ٢٤/ ٣٤ بِنَحْوِهِ).
(٤) «تَفْسِيرُ المَاتُرِيدِيِّ، تَأْوِيلَاتُ أَهْلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٣٩٦).

السَّبَبُ فِي أَنْ خَصَّ اللهُ تَعَالَى هَذَا النَّوْعَ مِنَ الْكُفْرِ بِالذِّكْرِ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ؟
الْجَوَابُ: لِأَنَّ رَغْبَةَ الْإِنْسَانِ فِي فِعْلِ الْخَيْرَاتِ، وَفِي تَرْكِ الْمَحْظُورَاتِ، إِنَّمَا تَكُونُ لِلانْتِفَاعِ بِهِ فِي الْآخِرَةِ؛ فَمَنْ أَنْكَرَ الْآخِرَةَ، لَمْ يُقْدِمْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْمُسْتَحْسَنَاتِ، وَلَمْ يُحْجِمْ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ، فَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾: تَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّهُمْ فَعَلُوا كُلَّ شَرٍّ وَتَرَكُوا كُلَّ خَيْرٍ.[١]

قَاعِدَةٌ كُلِّيَّةٌ فِي التَّفْسِيرِ: -

قَالَ الفَرَّاءُ: وَلَمْ نَجِدْ مَعنَى الخَوْفِ يَكُونُ رَجَاءً إِلَّا وَمَعَهُ جَحْدٌ؛ فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ كَانَ الخَوْفُ عَلَى جِهَةِ الرَّجَاءِ وَالخَوْفِ، وَكَانَ الرَّجَاءُ كَذَلِكَ؛ كَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾، هَذِهِ لِلَّذِينَ لَا يَخَافُونَ أَيَّامَ اللهِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾: لَا تَخَافُونَ لله عَظَمَةً.

وَلَا يَجُوزُ: رَجَوْتُكَ؛ وَأَنْتَ تُرِيدُ: خِفْتُكَ، وَلَا خِفْتُكَ وَأَنْتَ تُرِيدُ رَجَوْتُكَ ا.ه[٢]

وَمَعْنَى كَلَامِ الفَرَّاءِ: أَنَّ كَلِمَةَ (رَجَى) تَأْتِي بِمَعْنَى (خَافَ) إِذَا كَانَتْ مَنْفِيَّةً؛ فَلَا يَرْجُونَ تَعْنِي: لَا يَخَافُونَ.

وَقِيلَ: الرَّجَاءُ يُحْمَلُ عَلَى مَعْنَاهُ الظَّاهِرُ، وَلَا رَجَاءَ إِلَّا وَهُوَ مُقْتَرِنٌ بِخَوْفٍ، وَلَا خَوْفَ إِلَّا وَهُوَ مُقْتَرِنٌ بِرَجَاءٍ.[٣]

---

(١) «تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ، مَفَاتِيحُ الغَيْبِ أَوِ التَّفْسِيرُ الكَبِيرُ» (٣١/ ١٨).
(٢) «مَعَانِي القُرْآنِ لِلْفَرَّاءِ» (١/ ٢٨٦).
(٣) «تَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّةَ، المُحَرَّرُ الوَجِيزُ فِي تَفْسِيرِ الكِتَابِ العَزِيزِ» (٥/ ٤٢٧).

(رَجَى): الرَّاءُ وَالْجِيمُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلَانِ مُتَبَايِنَانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى الْأَمَلِ. الرَّجَاءُ، وَهُوَ الْأَمَلُ. يُقَالُ رَجَوْتُ الْأَمْرَ أَرْجُوهُ رَجَاءً. ثُمَّ يُتَّسَعُ فِي ذَلِكَ، فَرُبَّمَا عُبِّرَ عَنِ الْخَوْفِ بِالرَّجَاءِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نُوح: ١٣]، أَيْ: لَا تَخَافُونَ لَهُ عَظَمَةً، وَنَاسٌ يَقُولُونَ: مَا أَرْجُو، أَيْ مَا أُبَالِي. وَفَسَّرُوا الْآيَةَ عَلَى هَذَا.[1]

والرَّجَاءُ: ظَنٌّ يَقْتَضِي حُصُولَ مَا فِيهِ مَسَرَّةٌ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نُوح: ١٣]، قِيلَ: مَا لَكُمْ لَا تَخَافُونَ، وَوَجْهُ ذَلِكَ أَنَّ الرَّجَاءَ وَالْخَوْفَ يَتَلَازَمَانِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾.[2]

﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾﴾

نَظِيرَتُهَا: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾

قَالَ الطَّبَرِيُّ: يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: يُقَالُ لِهَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ فِي جَهَنَّمَ إِذَا شَرِبُوا الْحَمِيمَ وَالْغَسَّاقَ: ذُوقُوا أَيُّهَا الْقَوْمُ مِنْ عَذَابِ اللهِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ

---

(١) «مَقَايِيسُ اللُّغَةِ» (٢/ ٤٩٤).

(٢) «الْمُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ» (ص٣٤٦).

فِي الدُّنْيَا تُكَذِّبُونَ، فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا عَلَى الْعَذَابِ الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ، لَا تَخْفِيفًا مِنْهُ وَلَا تَرَفُّهًا.(١)

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: لَمْ تَنْزِلْ عَلَى أَهْلِ النَّارِ آيَةٌ أَشَدُّ مِنْ هَذِهِ: ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ قَالَ: فَهُمْ فِي مَزِيدٍ مِنَ الْعَذَابِ أَبَدًا(٢) وَهِيَ كَقَوْلِ رَبِّنَا: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النِّسَاء:٥٦]، وَكَقَوْلِ رَبِّنَا: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإِسْرَاء:٩٧].

وَرُوِيَ أَنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَى أَهْلِ الجَنَّةِ سَاعَةٌ إِلَّا وَيَزْدَادُونَ صِنْفًا مِنَ النَّعِيمِ لَمْ يَكُونُوا يَعْرِفُونَهُ، وَلَا يَأْتِي عَلَى أَهْلِ النَّارِ سَاعَةٌ إِلَّا وَهُمْ مُسْتَنْكِرُونَ لِشَيْءٍ مِنَ العَذَابِ لَمْ يَكُونُوا يَعْرِفُونَهُ(٣).

وَالقُرْآنُ مَثَانٍ، يُؤْتَى فِيهِ بِحَالِ أَهْلِ الجَنَّةِ، ثُمَّ يُعْقَبُ بِحَالِ أَهْلِ النَّارِ؛ فَيُؤْتَى بِالشَّيْءِ وَضِدِّهِ، أَتَى اللهُ بِحَالِ أَهْلِ النَّارِ: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ ثُمَّ أَعْقَبَهُ اللهُ ﷻ بِحَالِ أَهْلِ الجَنَّةِ.

---

(١) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (٢٤/ ٣٧).

(٢) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (٢٤/ ٣٦).

(٣) «الهِدَايَةُ إِلَى بُلُوغِ النِّهَايَةِ» (١٢/ ٨٠٠٦).

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾

الْمُـتَّقِي: هُـوَ مَـنْ جَعَـلَ بَيْنَـهُ وَبَـيْنَ عَـذَابِ اللهِ وِقَايَـةً، هُوَ مَـنِ اتَّقَـى عَذَابَ اللهِ ﷻ بِـأَنْ جَعَـلَ بَيْنَـهُ وَبَـيْنَ مَعْصِيَـةِ اللهِ حِجَابًا.

۞ **عَـنْ عَاصِـمٍ الْأَحْـوَلِ، قَـالَ:** وَقَعَـتِ الْفِتْنَـةُ، فَقَـالَ طَلْـقُ بْـنُ حَبِيـبٍ: اتَّقُـوا الْفِتْنَـةَ بِالتَّقْـوَى، فَقَـالَ بَكْـرُ بْـنُ عَبْـدِ اللهِ: «أَجْمِـلْ لَنَـا التَّقْـوَى فِي يَسِـيرٍ»، فَقَـالَ: «التَّقْـوَى: الْعَمَـلُ بِطَاعَـةِ اللهِ عَـلَى نُورٍ مِـنَ اللهِ رَجَـاءَ رَحْمَـةِ اللهِ، وَالتَّقْوَى: تَـرْكُ مَعَـاصِي اللهِ عَـلَى نُـورٍ مِـنَ اللهِ مَخَافَـةَ عَـذَابِ اللهِ»[1].

🕮 سَبَبُ التَّقْوَى يَكُونُ بِوُجُوهٍ ثَلَاثَةٍ:

* **الْأَوَّلُ:** بِتَذَكُّـرِ عَظَمَتِـهِ وَجَلَالِـهِ وَرِفْعَتِـهِ عَـنْ مُخَالَفَـةِ أَمْـرِهِ وَنَهْيِـهِ؛ فَيَمْنَعُـهُ ذَلِـكَ عَـنْ مُخَالَفَتِهِ.

(١) «الزُّهْدُ الْكَبِيرُ لِلْبَيْهَقِيِّ» (ص٣٥١).

* **الثَّـانِي**: بِتَذَكُّـرِ نِعْمَتِـهِ وَإِحْسَـانِهِ؛ فَيَمْنَعُـهُ ذَلِـكَ عَـنِ ارْتِـكَابِ مَـا نُهِـيَ عَنْـهُ؛ حَيَـاءً مِنْـهُ.

***وَالثَّالِـثُ**: بِتَذَكُّـرِ نِقْمَتِـهِ وَعَذَابِـهِ فِي مُخَالَفَـةِ أَمْـرِهِ وَنَهْيِـهِ؛ فَيَتَّقِـي بِذَلِـكَ عَـذَابَ اللهِ وَنِقْمَتِـهِ[1].

* **وَالتَّقْوَى عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ:**

(تَقْوَى الشِّرْكِ)؛ وَتَكُونُ بِالإِيمَانِ.

(وَتَقْوَى البِدْعَةِ)؛ وَذَلِكَ بِالْتِزَامِ السُّنَّةِ.

(وَتَقْوَى المَعْصِيَةِ)؛ وَذَلِكَ بِمُلَازَمَةِ الطَّاعَةِ.

۞ **قَـالَ أَبُـو الْـحُسَيْنِ الزِّنْجَـانِيُّ:** «مَـنْ كَانَ رَأْسُ مَالِـهِ التَّقْـوَى؛ كَلَّـتِ الْأَلْسُـنُ عَـنْ وَصْـفِ رِبْحِـهِ»[2].

۞ **وَقَـالَ النَّهْرَجُـورِيُّ:** «الدُّنْيَـا بَحْـرٌ، وَالْآخِـرَةُ سَـاحِلٌ، وَالْمَرْكَـبُ التَّقْـوَى، وَالنَّـاسُ سَـفْرٌ»[3].

۞ **عَـنْ سُـفْيَانَ، قَـالَ لُقْمَانُ لِابْنِـهِ:** «يَـا بُنَـيَّ، إِنَّ الدُّنْيَـا بَحْـرٌ عَمِيـقٌ غَـرِقَ فِيهَـا نَـاسٌ كَثِيـرٌ، فَلْتَكُـنْ سَـفِينَتُكَ فِيهَـا تَقْـوَى اللهِ، وَزِيَادُتُهَـا الْإِيـمَانُ بِـاللهِ،

---

(١) «تَفْسِيرُ المَاتُرِيدِيِّ، تَأْوِيلَاتُ أَهْلِ السُّنَّةِ» (٢/ ٤٨١) بِتَصَرُّفٍ.

(٢) «الزُّهْدُ الكَبِيرُ لِلْبَيْهَقِيِّ» (ص٣٣٥).

(٣) «الزُّهْدُ الكَبِيرُ لِلْبَيْهَقِيِّ» (ص٣٣٥).

وَمِشْرَعُهَا التَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ لَعَلَّكَ تَنْجُو»[(١)].

۞ **وَعَنْ دَاوُدَ الطَّائِيِّ قَالَ:** «مَا أَخْرَجَ اللهُ عَبْدًا مِنْ ذُلِّ الْمَعَاصِي إِلَى عِزِّ التَّقْوَى إِلَّا أَغْنَاهُ بِلَا مَالٍ وَأَعَزَّهُ بِلَا عَشِيرَةٍ وَآنَسَهُ بِلَا أَنِيسٍ»[(٢)].

۞ **وقال أَبو عُثْمَانَ الْمَغْرِبِيَّ يَقُولُ:** «مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى التَّقْوَى وَالْعِلْمِ، جَاءَتْ أَذْكَارُهُ وَأَفْعَالُهُ صَافِيَةً، وَدَخَلَ عَلَيْهِ الْوَرَعُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ»[(٣)].

---

(١) «الزُّهْدُ الكَبِيرُ لِلْبَيْهَقِيِّ» (ص٣٣٥).

(٢) «الزُّهْدُ الكَبِيرُ لِلْبَيْهَقِيِّ» (ص٣٣٦).

(٣) «الزُّهْدُ الكَبِيرُ لِلْبَيْهَقِيِّ» (ص٣٣٧).

مَا هُوَ هَذَا الفَوْزُ؟

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكُ: مُتَنَزَّهًا[١]، وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ: فَازُوا، فَنَجَوْا مِنَ النَّارِ[٢].

وَالأَظْهَرُ هَاهُنَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ لِأَنَّهُ قَالَ بَعْدَهُ: ﴿حَدَآئِقَ﴾ وَهِيَ الْبَسَاتِينُ مِنَ النَّخِيلِ وَغَيْرِهَا.[٣]

﴿حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا﴾

قَالَ الطَّبَرِيُّ: إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ ظَفَرًا بِمَا طَلَبُوا مِنْ حَدَائِقَ وَأَعْنَابٍ؛ وَالْحَدَائِقُ: جَمْعُ حَدِيقَةٍ، وَهِيَ الْبَسَاتِينُ مِنْ: النَّخْلِ، وَالْأَعْنَابِ، وَالْأَشْجَارِ الْمحُوطِ عَلَيْهَا الْحِيطَانُ الْمُحْدِقَةُ بِهَا، لِإِحْدَاقِ الْحِيطَانِ بِهَا تُسَمَّى الْحَدِيقَةَ، فَإِنْ لَمْ تَكُنِ الْحِيطَانُ بِهَا مُحْدِقَةً، لَمْ يُقَلْ لَهَا حَدِيقَةٌ، وَإِحْدَاقُهَا بِهَا: اشْتِمَالُهَا عَلَيْهَا.[٤]

قَالَ مُقَاتِلٌ: «حَدَائِقَ» يَعنِي: البَسَاتِينُ قَد حَدِقَتْ حَوَالَيْهَا الحِيطَانُ.

وَلَمَّا ذَكَرَ المَسَاكِنَ النَّزِهَةَ الْمُؤَنَّقَةَ الْمُعْجِبَةَ، ذَكَرَ مَا يُتَمَتَّعُ بِهِ وَهُوَ جَامِعٌ لِأَلْذَاذِ الحَوَاسِّ: البَصَرِ وَاللَّمْسِ وَالذَّوْقِ، فَقَالَ:[٥]

---

(١) «تَفسِيرُ الطَّبَرِيِّ، جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (٢٤/ ٣٧).

(٢) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (٢٤/ ٣٧).

(٣) «تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ» (٨/ ٣٠٨).

(٤) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (٢٤/ ٣٧).

(٥) «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/ ٢٠٩).

﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾

المَـرْأَةُ الكَاعِـبُ هَـذِهِ صِفَـةٌ فِي الثَّـدْيِ، عَـنْ قَتَـادَةَ فِي قَوْلِـهِ: «وَكَوَاعِـبَ» قَـالَ: نَوَاهِـدَ ﴿أَتْرَابًا﴾ يَقُـولُ: لِسِـنٍّ وَاحِـدَةٍ.[١]

وَلَمَّـا ذَكَرَ النِّسَـاءَ، ذَكَـرَ المُلَائِمَ لِعِشْرَتِهِـنَّ، فَقَالَ: ﴿وَكَأْسًا﴾ أَيْ: مِـنَ الخَبَرِ الَّتِي لَا مِثْـلَ لَهَـا فِي لَذَّةِ الـذَّوْقِ -ظَاهِرًا وَبَاطِنًـا- وَكَمَالِ الـسُّرُورِ وَإِنْعَاشِ القُوَى.

وَلَمَّـا كَانَـتِ العَـادَةُ جَارِيَـةٌ بِـأَنَّ الـشَّرَابَ الجَيِّـدَ يَكُـونُ قَلِيـلًا، دَلَّ عَـلَى كَثْرَتِـهِ دَلِيـلًا عَـلَى جَوْدَتِـهِ بِقَوْلِـهِ: ﴿دِهَاقًا﴾ أَيْ: مُمْتَلِئَـةً.[٢]

وَقَالَ الضَّحَّاكُ: كَوَاعِبَ: العَذَارَى.

الكَوَاعِـبُ: جَمْعُ كَاعِـبٍ، وَهِـيَ الفَتَـاةُ الَّتِـي تَبِـينُ وَبَـرَزَ ثَدْيُهَـا وَلَمْ يَتَـدَلَّ، بَـلْ بَـرَزَ وَظَهَـرَ كَالكَعْـبِ، وَهَـذَا أَكْمَـلُ مَـا يَكُـونُ فِي جَمَـالِ الصَّـدْرِ.

وَكَأَنَّ المَعْنَى أَنَّ سِنَّ النِّسَاءِ صَغِيرٌ، وَهَذَا أَكْمَلُ فِي المُتْعَةِ.

مُتَتَابِعَةً مَلْأَى صَافِيَةً.[٣]

﴿دِهَاقًا﴾ أَيْ: مُمْتَلِئَـةً، فِي قَـوْلِ أَكْثَـرِ أَهْـلِ اللُّغَـةِ؛ كَأَبِي عُبَيْـدَةَ، وَالزَّجَّـاجِ

(١) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (٢٤/ ٣٩).
(٢) «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/ ٢١٠).
(٣) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (٢٤/ ٣٩).

وَالكِسَـائِيِّ، وَالْمُـبَرِّدِ.

📖 **قَاعِدَةٌ كُلِّيَّةٌ فِي التَّفْسِيرِ: -**

۞ **قَالَ الضَّحَّاكُ:** كُلُّ كَأْسٍ فِي الْقُرْآنِ فَهِيَ خَمْرٌ[١]، وَبِمَعْنَاهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.[٢]

۞ **قَالَ الزَّجَّاجُ:** كُلُّ إِنَاءٍ فِيهِ شَرَابٌ فَهُوَ كَأْسٌ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شَرَابٌ؛ فَلَيْسَ بِكَأْسٍ، وَكَذَلِكَ المَائِدَةُ: مَا كَانَ عَلَيْهَا مِنَ الأَخْوِنَةِ طَعَامٌ فَهُوَ مَائِدَةٌ.[٣]

وَلَمَّا كَانَتْ مَجَالِسُ الخَمْرِ فِي الدُّنْيَا مُمْتَلِئَةٌ بِمَا يُنَغِّصُهَا مِنَ اللَّغْوِ وَالكَذِبِ إِلَّا عِنْدَ مَنْ لَا مُرُوءَةَ لَهُ فَلَا يُنَغِّصُهُ القَبِيحُ، قَالَ نَافِيًا عَنْهَا مَا يُكَدِّرُ لَذَّةَ السَّمْعِ.

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾

لَغْـوًا مِـنَ الـكَلَامِ، ﴿وَلَا كِذَّٰبًا﴾ [النَّبَأ:٣٥] قَـالَ الفَـرَّاءُ: لَا يُكَـذِّبُ بَعْضُهُـمْ بَعْضًـا.[٤]

وَلَمَّا كَانَتْ خَمْرُ الدُّنْيَا يَعْقُبُهَا اللَّغْوُ وَالكَذِبُ، فَنَفَاهُ اللهُ عَنْ خَمْرِ الجَنَّةِ.

﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾

وَقَـدْ ذَكَرَ اللهُ مِثَـالًا لِلْمُضَاعَفَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾.

---

(١) «تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ، مَفَاتِيحُ الغَيْبِ أَوِ التَّفْسِيرُ الكَبِيرُ» (٣١/ ٢٢).

(٢) (عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ).

(٣) «مَعَانِي القُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ لِلزَّجَّاجِ» (٥/ ٢٧٥) .

(٤) «مَعَانِي القُرْآنِ لِلْفَرَّاءِ» (٣/ ٢٢٩).

۞ يُقَالُ: أَعْطَانِي فَأَحْسَبَنِي؛ أَيْ: أَعْطَانِي فَكَفَانِي.(١)

۞ وقَالَ الْقُتَبِيُّ: وَنَرَى أَصْلَ هَذَا أَنْ يُعْطِيَهُ حَتَّى يَقُولَ حَسْبِي.(٢)

۞ وَقَالَ الزَّجَّاجُ: ﴿حِسَابًا﴾ مَعْنَاهُ: مَا يَكْفِيهِمْ، أَيْ: فِيهِ مَا يَشْتَهُونَ، يُقَالُ: أَحْسَبَنِي كَذَا وَكَذَا بِمَعْنَى كَفَانِي.(٣)

۞ وقَالَ الْأَخْفَشُ، يُقَالُ: أَحْسَبَنِي كَذَا: أَيْ كَفَانِي.

۞ وقَالَ مُجَاهِدٌ: حِسَابًا لِمَا عَمِلُوا؛ فَالْحِسَابُ بِمَعْنَى الْعَدِّ، أَيْ: بِقَدْرِ مَا وَجَبَ لَهُ فِي وَعْدِ الرَّبِّ؛ فَإِنَّهُ وَعَدَ لِلْحَسَنَةِ عَشْرًا، وَوَعَدَ لِقَوْمٍ بِسَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، وَقَدْ وَعَدَ لِقَوْمٍ جَزَاءً لَا نِهَايَةَ لَهُ وَلَا مِقْدَارَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: ١٠].

۞ وقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: تَقُولُ الْعَرَبُ: حَسَّبْتُ الرَّجُلَ بِالتَّشْدِيدِ: إِذَا أَكْرَمْتُه.(٤)

۞ وقَالَ جُمْهُورُ الْمُفَسِّرِينَ وَاللُّغَوِيِّينَ مَعْنَاهُ: مُحْسَبًا كَافِيًا، فِي قَوْلِهِمْ أَحْسَبَنِي هَذَا الْأَمْرُ أَيْ: كَفَانِي، وَمِنْهُ حَسْبِيَ اللهُ.(٥)

۞ وقَالَ الطَّبَرِيُّ: تَفَضُّلًا مِنَ اللهِ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ الْجَزَاءِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ

(١) «تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ» (١٩/ ١٨٥).
(٢) «تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ» (١٩/ ١٨٥).
(٣) «مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ لِلزَّجَّاجِ» (٥/ ٢٧٥).
(٤) «تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ» (١٩/ ١٨٥).
(٥) «الْمُحَرَّرُ الْوَجِيزُ» لِابْنِ عَطِيَّةَ.

جَزَاهُمْ بِالْوَاحِدِ عَشْرًا فِي بَعْضٍ، وَفِي بَعْضٍ بِالْوَاحِدِ سَبْعَمِائَةٍ؛ فَهَذِهِ الزِّيَادَةُ وَإِنْ كَانَتْ جَزَاءً فَعَطَاءٌ مِنَ اللهِ.(١)

جَزَاءُ اللهِ عَلَى الحَسَنَاتِ:

١- أَقَلُّ مُضَاعَفَةٍ لِلْحَسَنةِ عَشْرُ أَمْثَالِهَا؛ لِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾. [الأَنْعَام: ١٦٠].

٢- وَهُنَاكَ حَسَنَاتٌ تُضَاعَفُ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾. [البَقَرَة: ٢٦١].

٣- وَهُنَاكَ حَسَنَاتٌ تُضَاعَفُ إِلَى مَا لَا مِقْدَارَ لَهُ، كَمَا قَالَ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. [الزُّمَر: ١٠].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ؛ فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِمِثْلِهَا.»(٢)

قَالَ اللهُ ﷻ عَنْ أَهْلِ النَّارِ: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ أَيْ: جَزَاءً مُوَافِقًا لِأَعْمَالِهِم، وَقَالَ عَنْ أَهْلِ الجَنَّةِ: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾.

---

(١) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (٢٤/ ٤٣).

(٢) «صَحِيحُ البُخَارِيِّ» (١/ ١٧).

﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾

أَيْ: لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا إِذَا أَذِنَ اللهُ بِالكَلَامِ؛ هَيْبَةً مِنَ اللهِ تَعَالَى، وَتَعْظِيمًا لِحَقِّهِ؛ فَلَا يَمْلِكُونَ مِنْ هَيْبَتِهِ الخِطَابَ بِالشَّفَاعَةِ أَوْ بِالخُصُومَةِ أَوْ بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ[(١)].

وَبَيَّنَ أَنَّهُ رَحْمَنٌ؛ لِيَرْغَبُوا فِي رَحْمَتِهِ، وَيَتَسَارَعُوا إِلَى مَغْفِرَتِهِ[(٢)].

وَكَيْفَ تَكُونُ لِلْمُكَوَّنِ المَخْلُوقِ الفَقِيرِ المِسْكِينِ مُكْنَةٌ أَنْ يَمْلِكَ مِنْهُ خِطَابًا؟ أَوْ يَتَنَفَّسُ بِدُونِهِ نَفَسًا؟! كَلَّا.. بَلْ هُوَ اللهُ الوَاحِدُ الجَبَّارُ[(٣)]؛ كَقَوْلِ رَبِّنَا: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[البَقَرَة:٢٥٥].قَدْ يَدْخُلُ الرَّجُلُ عَلَى مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا فَيُكَلِّمُهُ، أَمَّا مَلِكُ المُلُوكِ فَلَا يَشْفَعُ أَحَدٌ وَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ، قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾؛ كَقَوْلِهِ: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾.

لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا بِإِذْنِهِ، قَالَهُ الكَلْبِيُّ، وَدَلِيلُهُ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩] فَلَا يَقْدِرُ الخَلْقُ أَنْ يُكَلِّمُوا الرَّبَّ إِلَّا بِإِذْنِهِ، قَالَهُ مُقَاتِلٌ، وَدَلِيلُهُ: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾. [هُود: ١٠٥]

عَنْ مُجَاهِدٍ وَالحَسَنِ، قَوْلُهُ: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ قَالَا: كَلَامًا.[(٤)]

---

(١) «تَفْسِيرُ المَاتُرِيدِيِّ، تَأْوِيلَاتُ أَهْلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٤٠٠).

(٢) «تَفْسِيرُ المَاتُرِيدِيِّ، تَأْوِيلَاتُ أَهْلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٤٠٠).

(٣) «لَطَائِفُ الإِشَارَاتِ، تَفْسِيرُ القُشَيْرِيِّ» (٣/ ٦٧٩).

(٤) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (٢٤/ ٤٦).

۞ وقَالَ الطَّبَرِيُّ : يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: الرَّحْمَنُ، لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ عَلَى خِطَابِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ مِنْهُمْ وَقَالَ صَوَابًا.[1]

﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾

فِي الرُّوحِ ثَمَانِيَةُ أَقْوَالٍ: الأَظْهَرُ أَنَّهُ جِبْرِيلُ، وَهُوَ قَوْلُ الضَّحَّاكِ[2] وَالْجُمْهُورِ[3]، وَهُوَ ظَاهِرُ الْقُرْآنِ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ﴾ .

وتَوَقَّفَ ابنُ جَرِيرٍ فَلَمْ يقطع بِوَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ كُلِّهَا.[4]

۞ قَالَ الطَّبَرِيُّ: الصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَخْبَرَ أَنَّ خَلْقَهُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ، وَالرُّوحُ: خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ بَعْضَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي ذَكَرْتُ، وَاللهُ أَعْلَمُ أَيُّ ذَلِكَ هُوَ، وَلَا خَبَرَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ الْمعْنِيُّ بِهِ دُونَ غَيْرِهِ، يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ، وَلَا حُجَّةَ تَدُلُّ عَلَيْهِ، وَغَيْرُ ضَائِرٍ الْجَهْلُ بِهِ.

وَ﴿صَفّٗاۖ﴾: مَصْدَرٌ، أَيْ: يَقُومُونَ صُفُوفًا، وَالْمصْدَرُ يُنْبِئُ عَنِ الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ، كَالْعَدْلِ وَالصَّوْمِ، وَيُقَالُ لِيَوْمِ الْعِيدِ: يَوْمُ الصَّفِّ، وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ

(١) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (٢٤/ ٤٧) .

(٢) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (٢٤/ ٤٨) .

(٣) «تَفْسِيرُ النَّسَفِيِّ، مَدَارِكُ التَّنْزِيلِ وَحَقَائِقُ التَّأْوِيلِ» (٣/ ٥٩٣).

(٤) «تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ» (٨/ ٣١٠).

آخَـرَ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفَجْـر: ٢٢] هَـذَا يَـدُلُّ عَـلَى الصُّفُـوفِ، وَهَـذَا حِـينَ الْعَـرْضِ وَالْحِسَـابِ، قَـالَ مَعْنَـاهُ الْقُتَبِـيُّ وَغَـيْرُهُ.

وَقِيلَ: يَقُومُ الرُّوحُ صَفًّا، وَالْـملَائِكَةُ صَفًّا، فَهُمْ صَفَّانِ.

وَقِيلَ: يَقُومُ الْكُلُّ صَفًّا وَاحِدًا.(١)

﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: وَهَذَا تَحْقِيقٌ لِقَوْلِهِ: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾.

قَـالَ البِقَاعِـيُّ: عَظُـمَ ذَلِـكَ اليَوْمُ بِالسُّـكُوتِ؛ خَوْفًـا مِـنْ ذِي الجَبَرُوتِ، ﴿وَخَشَـعَتِ الْأَصْـوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْـمَعُ إِلَّا هَمْسًـا﴾ [طـه: ١٠٨](٢)

﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾

﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾: فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

* أَحَدُهُمَا: عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ حَقًّا فِي الدُّنْيَا وَعَمِلَ بِهِ.(٣)

* الثَّـانِي: عَـنِ ابْـنِ عَبَّـاسٍ قَـالَ: إِلَّا مَـنْ أَذِنَ لَـهُ الـرَّبُّ بِشَـهَادَةِ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ، وَهِـيَ مُنْتَهَـى الصَّـوَابِ.(٤)

---

(١) «تَفْسِيرُ القُرْطُبِيِّ» (١٩/ ١٨٧).

(٢) «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/ ٢١٤).

(٣) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (٢٤/ ٥١) .

(٤) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (٢٤/ ٥١) .

۞ قَالَ ابْنُ الجَوْزِيِّ: وَهُوَ الشَّهَادَةُ بِالتَّوْحِيدِ عِنْدَ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ.(١)

* الثَّالِثُ: أَنَّ الرُّوحَ يَقُولُ يَوْمَ القِيَامَةِ: لَا تُدْخَلُ الجَنَّةُ إِلَّا بِالرَّحْمَةِ، وَلَا النَّارُ إِلَّا بِالعَمَلِ، فَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ قَالَهُ الحَسَنُ.

* وَيُحْتَمَلُ رَابِعٌ: أَنَّهُ سُؤَالُ الطَّالِبِ وَجَوَابُ المَطْلُوبِ؛ لِأَنَّ كَلَامَ الخَلْقِ فِي القِيَامَةِ مَقْصُورٌ عَلَى السُّؤَالِ وَالجَوَابِ.(٢)

﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ ﴾

ذَلِكَ اليَوْمُ الكَائِنُ الوَاقِعُ لَا مَحَالَةَ؛ ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾ أَيْ: مَرْجِعًا بِالعَمَلِ الصَّالِحِ، يَعْمَلُ عَمَلًا صَالِحًا يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللهِ ﷻ.

﴿إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ﴾: حَذَّرْنَاكُمْ ﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾، وَ«كُلُّ آتٍ فَهُوَ قَرِيبٌ»، أَوْ يَوْمُ بَدْرٍ.

۞ وَقَالَ قَتَادَةُ: عُقُوبَةُ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّهَا أَقْرَبُ الْعَذَابَيْنِ.

۞ قَالَ مُقَاتِلٌ: هِيَ قَتْلُ قُرَيْشٍ بِبَدْرٍ.

وَالْأَظْهَرُ أَنَّهُ عَذَابُ الْآخِرَةِ، وَهُوَ الْـمَوْتُ وَالْقِيَامَةُ؛ لِأَنَّ مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ، فَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، رَأَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، رَأَى الْخِزْيَ وَالْهَوَانَ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ﴾.(٣)

(١) «زَادُ المَسِيرِ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ» (٤/ ٣٩٢).
(٢) «تَفْسِيرُ المَاوَرْدِيِّ، النُّكَتُ وَالعُيُونُ» (٦/ ١٩٠).
(٣) «تَفْسِيرُ القُرْطُبِيِّ» (١٩/ ١٨٨).

﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾

كَقولِهِ: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٥٠ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الأنفال:٥٠] كَما قَالَ تَعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

وَكَقولِهِ: ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٩ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾[الحجّ:١٠] وَقَوْلِهِ: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾. [البَقَرَة: ٩٥]، ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ﴾[البَقَرَة:٢٢٣] قَدِّمُوا عَمَلًا صَالِحًا لِهَذَا اليَوْمِ تَجِدُوهُ عِندَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾.

۞ **قَالَ الحَسَنُ**: الْمرْءُ الْمُؤْمِنُ يَحْذَرُ الصَّغِيرَةَ، وَيَخَافُ الْكَبِيرَةَ.(١)

۞ **قَالَ الحَسَنُ**: قَدَّمَ فقَدِمَ عَلَى مَا قَدَّمَ.(٢)

۞ **عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ**: اتَّخَذُوا إِلَى اللهِ مَآبًا بِطَاعَتِهِ وَمَا يُقَرِّبُهُمْ إِلَيْهِ.(٣)

۞ **وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: ذَلِكَ لِأَنَّ اللهَ قَابَلَهُ بِالكَافِرِ: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾، يَقُولُها إِبْلِيسُ -لَعَنَهُ اللهُ- حِينَمَا يَرَى ذُرِّيَّةَ آدَمَ الَّتِي كَانَتْ تُرَابًا،

---

(١) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (٢٤/ ٥٤).

(٢) «تَفْسِيرُ المَاوَرْدِيِّ، النُّكَتُ وَالعُيُونُ» (٦/ ١٩١).

(٣) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (٢٤/ ٥٣).

يَدْخُلُ بَعْضُهُمُ الجَنَّةَ، فَيَقُولُ: ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النَّبأ:٤٠] فَأَكُونَ مَعَهُم.[1]

- يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مِثْلَ هَذَا الحَيَوَانِ فِي الدُّنْيَا وَأَكُونَ اليَوْمَ تُرَابًا، قَالَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ.[2]

فِي بَدْءِ الخَلِيقَةِ، لَمَّا قِيلَ لَهُ: اسْجُدْ لِآدَمَ قَالَ: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾. [الأَعْرَاف:١٢] فَيَعْكِسُهَا يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيَتَمَنَّى لَوْ كَانَ تُرَابًا، أَوْ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ البَهِيمَةِ، وَتَوضِيحُ ذَلِكَ فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التَّكْوِير:٥]: تُحْشَرُ الوُحُوشُ فَتَخْتَصِمُ بَيْنَ يَدَي الله -عَزَّ وَجَلَّ، هَذِهِ نَطَحَتْ هَذِهِ، فَتَأْخُذُ المَنْطُوحَةُ مِنَ النَّاطِحَةِ حَقَّهَا وَيَصِيرَانِ تُرَابًا، فَيَقُولُ حِينَهَا الكَافِرُ- وَيَشْمَلُ إِبلِيسَ وَغَيرَهُ-: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ بَهِيمَةً مِثْلَ البَهَائِمِ فَأَصِيرَ تُرَابًا، أَوْ يَقُولُ الكَافِرُ: ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾، وَظَلَلْتُ تُرَابًا وَلَمْ أُبْعَثْ.

۞ عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾، وَهُوَ الْهَالِكُ الْمُفَرِّطُ الْعَاجِزُ، وَمَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ وَقَدْ رَاجَ عَلَيْهِ عَوْرَاتُ عَمَلِهِ، وَقَدِ اسْتَقْبَلَ الرَّحْمَنَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ، فَتَمَنَّى الْمَوْتَ يَوْمَئِذٍ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا شَيْءٌ أَكْرَهُ عِنْدَهُ مِنَ الْمَوْتِ.[3]

---

(١) «تَفْسِيرُ المَاوَرْدِيِّ، النُّكَتُ وَالعُيُونُ» (٦/ ١٩١).

(٢) «تَفْسِيرُ المَاوَرْدِيِّ، النُّكَتُ وَالعُيُونُ» (٦/ ١٩١).

(٣) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، جَامِعُ البَيَانِ ط هَجَر» (٢٤/ ٥٥).